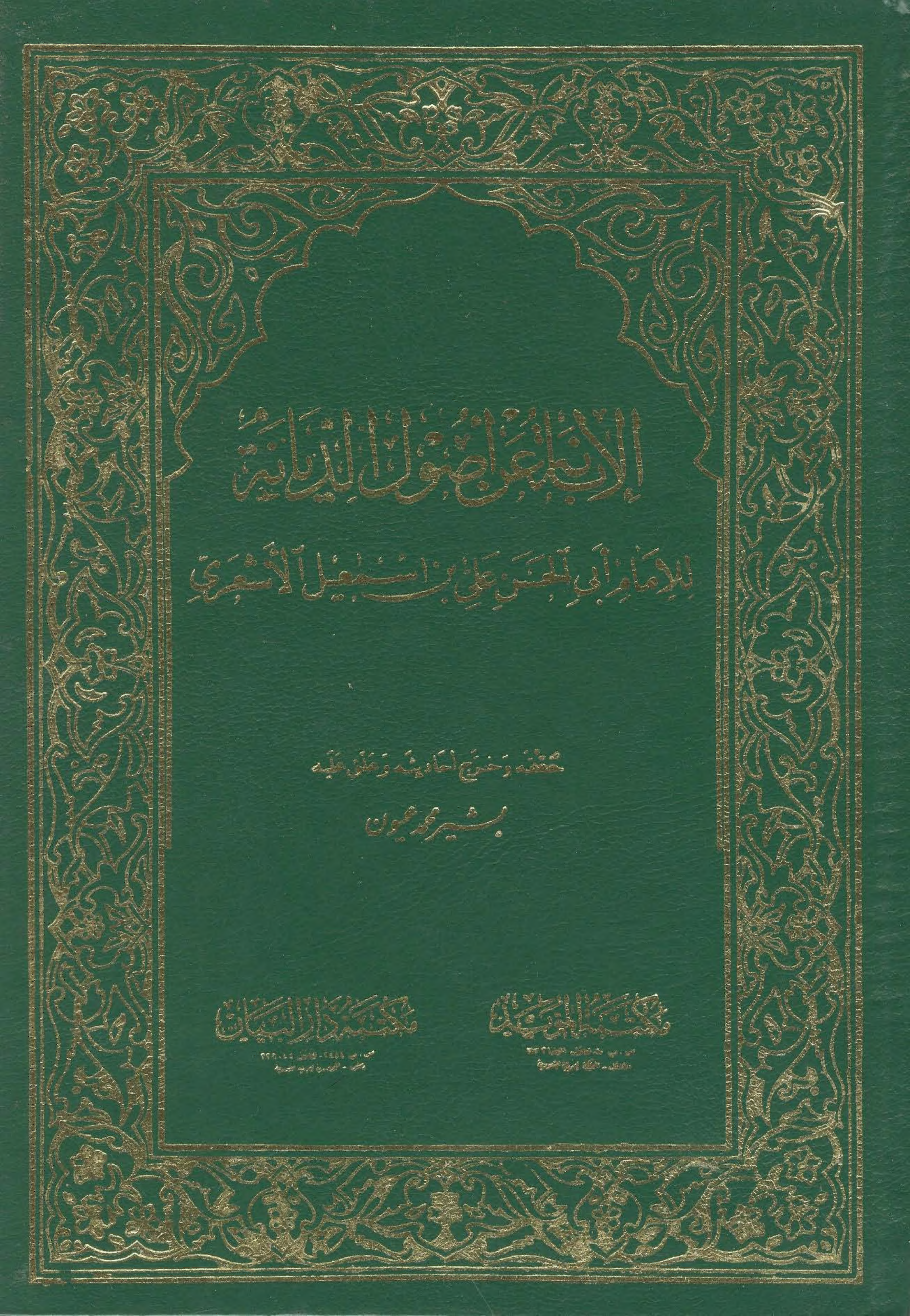

الإبانة عن أصول الديانة
للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
بشير محمد عيون
مكتبة دار البيان
مكتبة المؤيد

الإبانة عن أصول الديانة

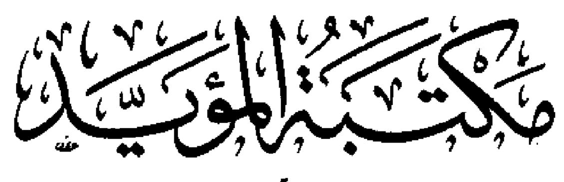
للإمام أبي الحسن علي بن إسمعيل الأشعري

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

بشير محمد عيون



ص.ب ٢٨٥٤ - هاتف ٢٢٩٠٤٥
دمشق - الجمهورية العربية السورية



ص.ب ١٠ - هاتف ٧٣٢١٨٥١
الطائف - المملكة العربية السعودية

الطبعة الثالثة

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون ﴾ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾.

أما بعد: فهذه هي «الطبعة الثالثة» من كتاب «الإبانة عن أصول الديانة» لإمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى وهو من أصول كتب العقائد عند أهل السنة حيث اقتفى مؤلفه آثار الإمام أحمد بن حنبل ناصر السنة وغيره من علماء السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

هذا وقد صدرت الطبعة الأولى بتحققنا، وخرج أحاديثه أستاذنا الشيخ عبد القادر الأرنؤوط حفظه الله تعالى وقد مضى عليها عشر سنوات، ثم صدرت الطبعة الثانية بمطابع الجامعة الإسلامية في مدينة الرسول ﷺ وقد تفضل العلامة الفاضل الشيخ حماد محمد الأنصاري حفظه الله تعالى بكتابة مقدمة نافعة جليلة للكتاب زادت من قيمته ورفعت من قدره.

ثم تأتي طبعتنا هذه ممتازة عما سبقها بالآتي:

١ ـ عدنا فقابلنا الكتاب على الطبعة الهندية والمنيرية وعلى طبعة الدكتورة فوقية محمود و«تبيين كذب المفتري» لابن عساكر، واخترنا ما رأيناه أنه أصح وأشرنا إلى اختلاف النسخ في الحواشي إلّا ما كان خطأً بيناً لا خفاء فيه فلم تشر إليه.

٢ ـ استوفينا تخريج الأحاديث كاملة مفصلة.

٣ ـ علقنا على بعض المواضع التي تحتاج إلى تعليق وخاصة ما نسبه الأشعري إلى أبي حنيفة رحمهما الله تعالى من القول بخلق القرآن وأن تاب من ذلك، وبيان أن القائل بذلك هو حماد بن أبي حنيفة وأنه نسب قوله إلى أبيه ظلماً وبهتاناً. وأحلنا القارىء في كثير من المواضع إلى «شرح العقيدة الطحاوية»، للعلامة ابن أبي العز ليستكمل أطراف الكلام عن مواضيع الكتاب.

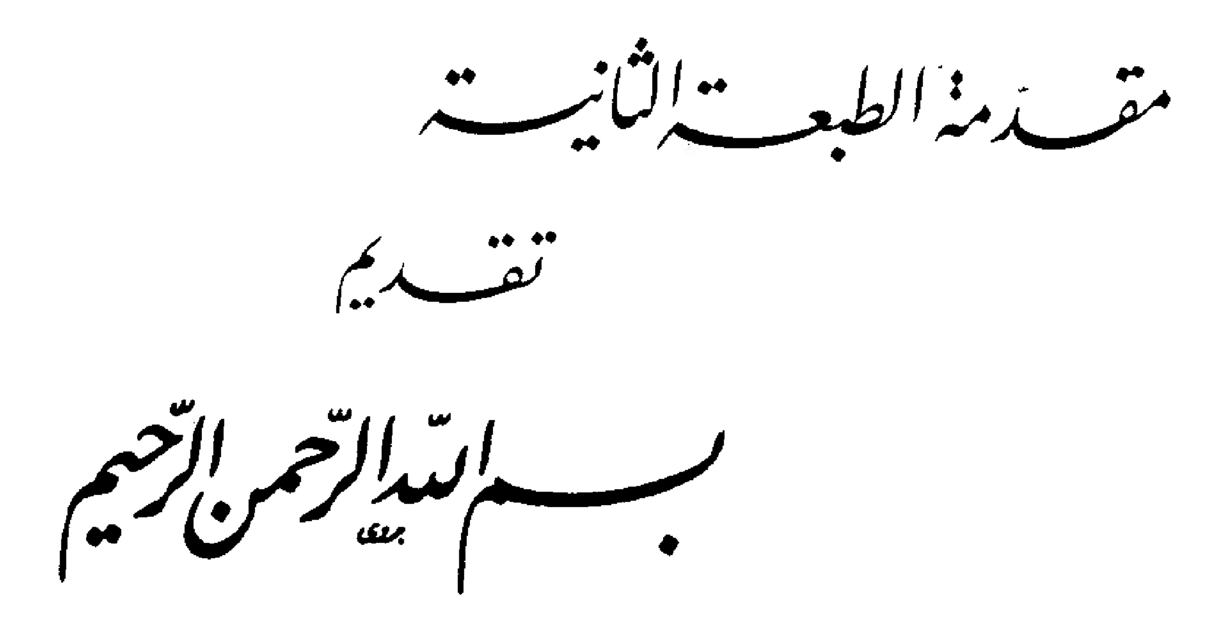
٤ ـ صدرنا هذه الطبعة بمقدمة الشيخ حماد محمد الأنصاري حفظه الله تعالى شاكرين له فضله وعلمه والله يتولى جزاءه خير الجزاء.

٥ ـ وضعنا لكتاب فهارس الأطراف الحديث وآخر للأعلام وثالث للمواضيع.

ونرجو أن نكون بعملنا قد اقتربنا من الكمال. ـ والكمال لله وحده ـ وما أُريد إلّا الإصلاح ما استطعت والله يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين.

دمشق ١٣/ ١١/ ١٤١٠

بشير محمد عيون



لفضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: لما كان أكثر الناس في الأقطار الإسلامية ينتسب عقيدة إلى أبي الحسن الأشعري، ومع ذلك لا يعرف شيئاً عن أبي الحسن الأشعري، ولا عن عقيدته التي استقر عليها أمره أخيراً واستحق بها أن يكون من الأئمة المقتدى بهم. أحببنا أن نفيد أولئك عن حقائق هذا الإمام المجهول عند كثير ممن ينتسب إليه وينتحل عقيدته، حسب ما تتبعنا من المراجع المعتبرة.

وقبل كل شيء أتحف القارىء بنبذة قليلة من ترجمة الأشعري فأقول وبالله أستعين:

التعريف بالإمام:

(أبو الحسن الأشعري) فهو: علي بن إسماعيل بن إسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ولد سنة

ستين ومئتين من الهجرة النبوية، ترجمه أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي في كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري» والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» وابن خلكان في «وفيات الأعيان» والذهبي في «تاريخ الإسلام» وابن كثير في «البداية والنهاية» و «طبقات الشافعية» والتاج السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» وابن فرحون المالكي في «الديباج المذهب في أعيان أهل المذهب» ومرتضى الزبيدي في «اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين» وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب في أعيان من ذهب» وغيرهم.

دخل هذا الإمام بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث والفقه وعن أبي خليفة الجمحي وسهل بن سرح ومحمد بن يعقوب المقري وعبد الرحمن بن خلف البصريين، وروى عنهم كثيراً في تفسيره «المختزن» وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة.

ولما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ فيه الغاية كان يورد الأسئلة على استاذه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً فتحير في ذلك.

فحكى عنه أنه قال: وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد فقمت وصليت ركعتين وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم ونمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر، فقال لي رسول الله «عليك بسنتي» فانتبهت!! وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار، فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً.

قال أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣ هـ في الجزء الحادي عشر من تاريخه المشهور صفحة ٣٤٦ «أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على

الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة، والجهمية، والخوارج وسائر أصناف المبتدعة.

إلى أن قال: وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم.

قال ابن فرحون في الديباج: «أثنى علي أبي الحسن الأشعري أبو محمد بن أبي زيد القيرواني وغيره من أئمة المسلمين» أهـ.

وقال ابن العماد الحنبلي في الشذرات الجزء الثاني صفحة٣٠٣: «ومما بيض به أبو الحسن الأشعري وجوه أهل السنة النبوية وسود به رايات أهل الإعتزال والجهمية، فأبان به وجه الحق الأبلج، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج، مناظرته مع شيخه الجبائي التي بها قصم ظهر كل مبتدع مرائي وهي أعني المناظرة كما قال ابن خلكان: «سأل أبو الحسن الأشعري أستاذه أبا علي الجبائي على ثلاثة أخوة، كان أحدهم مؤمناً براً تقياً. والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً، والثالث كان صغيراً، فماتوا فكيف حالهم؟ فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة؛ فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟

فقال الجبائي: لا!! لأنه يقال له: أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بطاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعري: فإن قال ذلك التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتي ما أقدرتني على الطاعة، فقال الجبائي: يقول الباريء جل وعلا: كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك، فقال الأشعري: فلو قال الأخ الأكبر يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني فانقطع الجبائي!!

وقال ابن العماد: «وفي هذه المناظرة دلالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته واختص آخر بعذابه» اهـ.

وقال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: أبو الحسن الأشعري كبير أهل السنة بعد الإمام أحمد بن حنبل وعقيدته وعقيدة الإمام أحمد رحمه الله واحدة لا شك في ذلك ولا ارتياب وبه صرح الأشعري في تصانيفه وذكره غير ما مرة من أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل، هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه» اهـ.

وفضائل أبي الحسن الأشعري ومناقبه أكثر من أن يمكن حصرها في هذه العجالة، ومن وقف على تواليفه بعد توبته من الاعتزال رأى أن الله تعالى قد أمده بمواد توفيقه، وأقامه لنصرة الحق والذب عن طريقه.

وقد تنازع فيه أهل المذاهب، فالمالكي يدعي أنه مالكي، والشافعي يزعم أنه شافعي. والحنفي كذلك. قال ابن عساكر: لقيت الشيخ الفاضل رافعاً الحمال الفقيه، فذكر لي عن شيوخه أن أبا الحسن الأشعري كان مالكياً فنسب من تعلق اليوم بمذهب أهل السنة وتفقه في معرفة أصول الدين من سائر المذاهب. إلى الأشعري لكثرة تواليفه وكثرة قراءة الناس لها.

قال ابن فورك: توفي أبو الحسن الأشعري سنة ٣٢٤ هـ. اهـ.

وبعد ذكر هذه النتفة من ترجمة هذا الإمام نذكر ما يلي إثبات رجوعه عن الاعتزال وإثبات نسبة الإبانة إليه ننقل ذلك من المراجع الموثوق بها، فنقول وبالله التوفيق.

رجوع أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى عقيدة السلف

قال الحافظ مؤرخ الشام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي المتوفي سنة ٥٧١ هـ في كتابه «التبيين». قال أبو بكر إسماعيل بن أبي محمد بن إسحق الآزدي القيرواني المعروف بابن عزرة: إن أبا الحسن الأشعري كان معتزلياً وأنه أقام على مذهب الإعتزال أربعين سنة، وكان

لهم إماماً ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع بالبصرة فصعد المنبر بعد صلاة الجمعة، وقال: معاشر الناس إني تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس، فمنها كتاب اللمع وغيره من تواليفه الآتي ذكر بعضها قريباً إن شاء الله: فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها وانتحلوه واعتقدوا تقدمه واتخذوه إماماً حتى نسب مذهبهم إليه فصار عند المعتزلة ككتابي أسلم وأظهر عوار ما تركه فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة.

وكذلك أبو الحسن الأشعري أعدى الخلق إلى المعتزلة، فهم يشنعون عليه وينسبون إليه الأباطيل وليس طول مقام أبي الحسن الأشعري على مذهب المعتزلة، مما يفضي به إلى انحطاط المنزلة، بل يقضي له في معرفة الأصول بعلو المرتبة ويدل عند ذوي البصائر له على سمو المنقبة، لأن من رجع عن مذهب كان بعواره أخير وعلى رد شبه أهله وكشف تمويهاتهم أقدر، وبتبيين ما يلبسون به لمن يهتدي باستبصاره أبصر، فاستراحة من يعيره بذلك كاستراحة مناظر هرون بن موسى الأعور.

وقصته أن هارون الأعور كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وحفظ القرآن وضبطه وحفظ النحو، وناظره إنسان يوماً في مسألة فغلبه هرون فلم يدر المغلوب ما يصنع فقال له: أنت كنت يهودياً فأسلمت فقال له هرون فبئس ما صنعت فغلبه هرون في هذا. وأتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين من أهل الزيغ

والبدعة، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة ـ سيفاً مسلولاً ومن طعن فيه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة، ولم يكن أبو الحسن الأشعري أول متكلم بلسان أهل السنة وإنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف، فزاده حجة وبياناً، ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهباً انفرد به وليس له في المذاهب أكثر من بسطه وشرحه كغيره من الأئمة.

وقال أبو بكر بن فورك: رجع أبو الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى مذهب أهل السنة سنة ٣٠٠ هـ.

وممن قال من العلماء برجوع الأشعري عن الاعتزال أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان الشافعي المتوفى سنة ٦٨١ هـ قال في «وفيات الأعيان» الجزء الثاني صفحة ٤٤٦: كان أبو الحسن الأشعري معتزلياً ثم تاب.

ومنهم عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.

قال في «البداية والنهاية» الجزء الحادي عشر صفحة ١٨٧: «كان الأشعري معتزلياً فتاب منه بالبصرة فوق المنبر ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم».

ومنهم شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي الشهير بالذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ قال في كتابه «العلو للعلي الغفار».

كان أبو الحسن أولاً معتزلياً أخذ عن أبي علي الجبائي ثم نابذه ورد عليه وصار متكلماً للسنة، ووافق أئمة الحديث، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله».

وممن قال برجوعه تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٧١ هـ قال في «طبقات الشافعية الكبرى»، الجزء الثاني صفحة ٢٤٦ : أقام أبو الحسن على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماماً فلما أراده الله لنصرة دينه وشرح صدره لاتباع الحق غاب عن الناس في بيته، وذكر كلام ابن عساكر المتقدم بحروفه.

ومنهم برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي المتوفى سنة ٧٩٩ هـ قال في كتابه «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» صفحة ١٩٣ :كان أبو الحسن الأشعري في ابتداء أمره معتزلياً، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق، مذهب أهل السنة، فكثر التعجب منه وسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبي ﷺ في رمضان فأمره بالرجوع إلى الحق ونصره، فكان ذلك والحمد لله تعالى.

ومنهم السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، في كتابه «اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين» الجزء الثاني صفحة ٣، قال: أبو الحسن الأشعري أخذ علم الكلام عن الشيخ أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة. ثم فارقه لمنام رآه، ورجع عن الاعتزال، وأظهر ذلك اظهاراً. فصعد منبر البصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني، أنا فلان ابن فلان كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الدار الآخرة بالأبصار وأن العباد يخلقون أفعالهم. وها أنا تائب من الاعتزال معتقداً الرد على المعتزلة، ثم شرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم.

ثم قال: قال ابن كثير: ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي الحياة، والعلم،

والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

والحال الثالث إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً.

وبهذه النقول عن هؤلاء الأعلام ثبت ثبوتاً لا شك فيه ولا مرية أن أبا الحسن الأشعري استقر أمره بعد أن كان معتزلياً على عقيدة السلف التي جاء بها القرآن الكريم وسنة النبي عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم.

وبعد إتمام هذا الحديث حول رجوعه عن الاعتزال نقر بحثاً ثانياً في صحة نسبة «الإبانة في أصول الديانة» إليه رداً على بعض الأغمار الذين زعموا **أنها مدسوسة عليه ـ وهذا هو بيت القصيد فنقول: وبالله نستعين.**

ثبوت نسبة الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري والرد على من أنكر ذلك وزعم إنها مدسوسة عليه.

وقبل البحث في صحة نسبة هذا الكتاب إلى أبي الحسن الأشعري نذكر نبذة قليلة من تواليفه التي ألفها بعد توبته من الاعتزال.

فنقول: قال الحافظ ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري» ذكر ابن حزم الظاهري أن لأبي الحسن الأشعري خمسة وخمسين تصنيفاً، ثم قال: ترك ابن حزم من عدد مصنفاته أكثر من مقدار النصف، وبعد ذلك سردها فقال:

منها كتاب اللمع، وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب «كشف الأسرار وهتك الأستار».

ومنها تفسيره المختزن، وهو خمسمائة مجلد لم يترك فيه آية تعلق بها بدعي إلا أبطل تعلقه بها، وجعلها حجة لأهل الحق، وبين المجمل وشرح المشكل ونقض فيه ما حرفه الجبائي والبلخي في تفسيريهما.

ومنها الفصول في الرد على الملحدين والخارجين على الملة كالفلاسفة والطبائعيين والدهريين وأهل التشبيه.

ومنها مقالات المسلمين استوعب فيه جميع اختلافهم ومقالاتهم وذكرها الحافظ ابن عساكر بأسمائها وموضوعاتها في كتابه التبيين من صفحة ١٢٨ إلى صفحة ١٣٦، وقد أطلعت أنا الجامع لهذه الرسالة على ثلاثة من الكتب المذكورة. وهي مطبوعة: اللمع، والإبانة. والمقالات الإسلامية.

وقال ابن عساكر في صفحة ٢٨ من التبيين: وتصانيف أبي الحسن الأشعري بين أهل العلم مشهورة معروفة؛ وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى بالإبانة، عرف موضعه من العلم والديانة.

ثم قال في صفحة ١٥٢: فإذا كان أبو الحسن كما ذكر عنه من حسن الإعتقاد، مستصوب المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد يوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونتجنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بالإبانة ونذكر ما يأتي في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى:

ثم قال في صفحة ١٧١ في جملة أبيات نسبها لبعض المعاصرين له:

لو لم يصنف عمره	غير الإبانة واللمع
لكفى فكيف وقد تفنـ	ـن في العلوم بما جمع
مجموعة تربي على المئتـ	ـين مما قد صنع
لم يأل في تصنيفها	أخذاً بأحسن ما استمع

فهـدى بهـا المسترشديـ ـن ومن تصفحها انتفـع
تـتلى مـعـانـي كـتـبـه فـوق المنـابـر في الجمـع
ويـخـاف مـن افـحـامـه أهـل الكـنـائس والـبـيـع
فـهـو الشـجا في حلق مـن تـرك المـحـجـة وابتـدع

ومن عزا الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري، الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي المتوفي سنة ٤٥٨.

قال في كتاب (الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد) في باب القول في القرآن صفحة ٣١، ذكر الشافعي رحمه الله ما دل على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا، ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله عز وجل؛ وأن الله عز وجل كلم به عباده بأن أرسل به رسوله ﷺ، وبمعناه ذكره أيضاً علي بن إسماعيل في كتاب الإبانة.

وقال في صفحة ٣٢ من الكتاب المذكور آنفاً: قال أبو الحسن علي بن إسماعيل في كتابه، يعني الإبانة.

فإن قال قائل حدثونا تقولون إن كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ، قيل له نقول ذلك، لأن الله قال: **﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾** فالقرآن في اللوح المحفوظ وهو في صدور الذين أوتوا العلم، وهو متلو بالألسنة قال تعالى: **﴿لا تحرك به لسانك﴾** والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو بألسنتنا في الحقيقة. مسموع لنا في الحقيقة كما قال تعالى: **﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾** ثم قال في صفحة ٢٦ بعد سرد الأدلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقد احتج على بن إسماعيل الأشعري رحمه الله بهذه الفصول اهـ من نسخة مخطوطة يرجع تاريخ خطها إلى سنة ١٠٨٦ هـ.

ومن ذكر الإبانة وعزاها لأبي الحسن الأشعري الحافظ المعروف

بالذهبي قال في كتابه «العلو للعلي الغفار» صفحة ١٦٠:

قال الأشعري في كتاب (الإبانة في أصول الديانة)[1] له في باب الإستواء:

فإن قال قائل: ما تقولون في الإستواء.

قيل نقول إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ إلى آخر ما في الإبانة.

ثم قال: وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن الأشعري شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه ونسخه بخط الإمام محيي الدين النووي.

وذكر الذهبي عن الحافظ أبي العباس أحمد بن ثابت الطرقي انه قال: قرأت في كتاب أبي الحسن الأشعري الموسوم بالإبانة أدلة على إثبات الإستواء. ونقل عن أبي علي الدقاق أنه سمع زاهر بن أحمد الفقيه يقول: مات الأشعري رحمه الله ورأسه في حجري فكان يقول شيئاً في حال نزعه. لعن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا اهـ كلام البيهقي.

وممن نسبها إلى أبي الحسن الأشعري ابن فرحون المالكي قال في كتابه الديباج صفحة ١٩٣ إلى ص١٩٤: ولأبي الحسن الأشعري كتب منها كتاب اللمع الكبير، وكتاب اللمع الصغير، وكتاب الإبانة في أصول الديانة اهـ.

وممن عزاها لأبي الحسن الأشعري أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي المتوفي سنة ١٠٩٨ هـ.

قال في الجزء الثاني من كتابه «شذرات الذهب في أعيان من ذهب» صفحة ٣٠٣: قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة في أصول الديانة»

---

(١) انظر ص (٩٧).

وهو آخر كتاب صنفه. وعليه يعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه، ثم ذكر فصلاً كاملاً من الإبانة.

وممن عزاها لأبي الحسن الأشعري السيد مرتضى الزبيدي.

قال في «اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين» في الجزء الثاني صفحة ٢ قال: صنف أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه من الاعتزال الموجز، وهو في ثلاث مجلدات، كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة؛ ومقالات الإسلاميين، وكتاب الإبانة.

وقد تقدم حكاية عن ابن كثير أن الإبانة هي آخر كتاب صنفه أبو الحسن الأشعري.

وممن ذكر أن الإبانة تأليف أبي الحسن الأشعري أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الشافعي قال في رسالته (الذب عن أبي الحسن الأشعري) اعلموا معشر الإخوان أن كتاب الإبانة في أصول الديانة، الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده وبه كان يدين لله سبحانه وتعالى بعد رجوعه من الاعتزال بمن الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه منها وكيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين لله سبحانه بها.

وروى وأثبت أنه ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين.

وأن ما فيه هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهل يسوغ أن يقال: إنه رجع عن هذا إلى غيره فإلى ماذا يرجع أنراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون

وقد علم أنه مذهبهم، ورواه عنهم؟؟!! هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين وكيف بأئمة الدين أو هل يقال: إنه جهل فيما نقله عن السلف الماضين مع إفنائه جل عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات، هذا مما لا يتوهمه منصف، ولا يزعمه إلا مكابر مسرف، وقد ذكر الإبانة واعتمد عليها وأثبتها عن الإمام أبي الحسن الأشعري وأثنى عليه بما ذكره فيها وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منها إلى تصنيفه جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم.

وذكر ابن درباس طائفة من الذين قدمنا ذكرهم وزاد الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت الطرقي، وذكر عنه أنه قال في بيان مسألة الاستواء من تأليفه رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي علو الله على العرش وتأويل الإستواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل أدعوه وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بالإبانة في أصول الديانة أدلة من جملة ما ذكرته على إثبات الإستواء، ومنهم الإمام الأستاذ الحافظ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني ذكر عنه أنه ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا بيده كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ويظهر الإعجاب بها، ويقول ما الذي ينكر على من هذا الكتاب شرح مذهبه (هذا قول الإمام أبي عثمان وهو من أعيان أهل الأثر بخرسان).

ومنهم إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي ذكر الإمام أبا الحسن الأشعري رحمة الله عليه فقال: وله كتاب في السنة سماه كتاب الإبانة صنفه ببغداد لما دخلها، وذكر ابن درباس أنه وجد كتاب الإبانة في كتب أبي الفتح نصر المقدسي ـ رحمه الله ـ ببيت المقدس وقال رأيت في بعض تآليفه في الأصول فصولاً منها بخطه.

ومنهم الفقيه أبو المعالي مجلي صاحب كتاب الذخائر في الفقه، قال

ابن درباس أنبأني غير واحد عن الحافظ أبي محمد المبارك بن علي البغدادي ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب الإبانة قال نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ الفقيه المجلي الشافعي أخرجها في مجلدة فنقلتها وعارضت بها وكان رحمه الله يعتمد عليها وعلى ما ذكره فيها ويقول لله من صنفه ويناظر على ذلك من ينكره وذكر ذلك لي وشافهني به قال: هذا مذهبي وإليه أذهب نقلت هذا في سنة ٥٤٠ هـ بمكة وهذا آخر ما نقلت من خط ابن الطباخ. وذكر فيمن عزاها إلى أبي الحسن أبا محمد بن علي البغدادي نزيل مكة قال ابن درباس: شاهدت نسخة من كتاب الإبانة بخطه من أوله إلى آخره، وهي بيد شيخنا الإمام رئيس العلماء الفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن بن المفضل المقدسي ونسخت منها نسخة، وقابلتها عليها بعد أن كنت كتبت نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الإمام نصر المقدسي ببيت المقدس ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المنتمين افتراءاً إلى أبي الحسن الأشعري ببيت المقدس فأنكرها وجحدها وقال ما سمعنا بها قط ولا هي من تصنيفه واجتهد آخراً في إعمال رويته ليزيل الشبهة بفطنته فقال بعد تحريك لحيته: لعله ألفها لما كان حشوياً، قال ابن درباس فما دريت من أي أمريه أعجب أمن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة من ذكره في تصانيفه من العلماء أو من جهله بحال شيخه الذي يفتري عليه بانتمائه إليه، واشتهاره قبل توبته من الاعتزال بين الأمة عالمها وجاهلها، فإذا كانوا بحال من ينتمون إليه بهذه المثابة فكيف يكونون بحال السلف الماضين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأعلام الفقهاء والمحدثين وهم لا يلون على كتبهم ولا ينظرون في آثارهم وهم والله بذلك أجهل وأجهل كيف لا وقد قنع بعض من ينتمي منهم إلى أبي الحسن الأشعري بمجرد دعواه وهو في الحقيقة مخالف لمقالة أبي الحسن التي رجع إليها واعتمد في تدينه عليها قد ذهب صاحب التأليف إلى المقالة الأولى، وكان خلاف ذلك أحرى به وأولى لتستمر القاعدة

وتصير الكلمة واحدة. اهـ. كلام ابن درباس رحمه الله.

وممن ذكر الإبانة ونسبها إلى أبي الحسن الأشعري تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الشهير بابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، قال في الفتوى الحموية الكبرى صفحة ٧٠: قال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الإبانة في أصول الديانة وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال: فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة وذكر ما في أول كتاب الإبانة بحروفه وسيأتي ذكره إن شاء الله قريباً.

وممن عزاها إلى أبي الحسن الأشعري شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ قال في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية الطبعة الهندية صفحة ١١١ قال شيخ الإسلام ابن تيمية. ولما رجع الأشعري من مذهب المعتزلة سلك طريق أهل السنة والحديث وانتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل كما ذكر ذلك في كتبه كلها كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها. ثم قال ابن القيم: وأبو الحسن الأشعري وأئمة أصحابه كالحسن الطبري وأبي عبد الله بن المجاهد والقاضي أبي بكر الباقلاني متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليدين وعلى إبطال تأويلها وليس للأشعري في ذلك قولان أصلاً، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين ولكن لأتباعه قولان في ذلك.

ولأبي المعالي الجويني في تأويلها قولان: أولها في الإرشاد ورجع عن تأويلها في رسالته النظامية وحرمه، ونقل إجماع السلف على تحريمه وأنه ليس بواجب ولا جائز، ثم ذكر ابن القيم قول أبي الحسن الأشعري إمام

الطائفة الأشعرية، ثم قال: نذكر كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه كالموجز والإبانة والمقالات.

وقال ابن القيم في قصيدته النونية التي سماها الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية الطبعة المصرية صفحة ٦٨

والأشعري قال تفسير استوى ... بحقيقة استوى من البهتان
هو قول أهل الاعتزال وقول اتبـ ... ـاع لجهم وهو ذو بطلان
في كتبه قد قال ذا من موجز ... وإبانة ومقالة ببيان

وقال في صفحة ٦٩ من الكتاب المذكور آنفاً:

وحكى ابن عبد البر في تمهيده ... وكتاب الاستذكار غير جبان
إجماع أهل العلم أن الله ... فوق العرش بالايضاح والبرهان
وأتى هناك بما شفى أهل الهدى ... لكنه مرض على العميان
وكذا علي الأشعري فإنه ... في كتبه قد جاء بالتبيان
من موجز وإبانة ومقالة ... ورسائل للثغر ذات بيان
وأتى بتقرير استواء الرب ... فوق العرش بالإيضاح والبرهان
وأتى بتقرير العلو بأحسن التقر ... ير فانظر كتبه بعيان: انتهى

قلت هذه نقول الأئمة الأعلام التي تضمنت بالصراحة التي لا يتناطح عليها عنزان أن كتاب الإبانة ليس مدسوساً على أبي الحسن الأشعري كما زعمه الأغمار من المقلدة بل هو من تواليفه التي ألفها أخيراً واستقر أمره على ما فيها من عقيدة السلف التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية.

وبعد هذا رغبت أن أتحف القارىء بقطعة من عقيدة هذا الإمام التي رجع إليها وذكرها في إبانته، أذكرها بفصها ونصها ليظهر لكل منصف قرأها بفهم أن أبا الحسن الأشعري تاب من التعطيل والتأويل كما أنه ليس بممثل

بل هو مثبت ومعتقد كل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه أو أخبر به عنه نبيه عليه الصلاة والسلام من غير تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل.

فأقول: قال أبو الحسن الأشعري في إبانته (باب في إبانة قول أهل الحق والسنة).

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا عليه السلام، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم مفخم.

وجملة قولنا إنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئاً.

وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

وإن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستو على عرشه كما قال ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾.

وأن له وجهاً كما قال: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾.

وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ وكما قال: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾.

وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿**تجري بأعيننا**﴾.

وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً.

وأن لله علماً كما قال: ﴿**أنزله بعلمه**﴾ وكما قال: ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾.

ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج.

ونثبت أن لله قوة كما قال: ﴿**أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة**﴾ ونقول: إن كلام الله غير مخلوق وأنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن فكان كما قال: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾.

وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله.

وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله ولا يستغني عن الله ولا يقدر على الخروج عن علم الله عز وجل، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدرة كما قال: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون كما قال: ﴿**هل من خالق غير الله**﴾ وكما قال: ﴿**لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون**﴾ وكما قال: ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق**﴾ وكما قال: ﴿**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**﴾ وهذا في كتاب الله كثير، وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر لهم وأصلحهم وهداهم وأضل الكافرين ولم

يهدهم ولم يلطف بهم بالآيات؛ كزعم أهل الزيغ والطغيان ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا مهتدين.

وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم وطبع على قلوبهم.

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وإنا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا.

وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا بالله كما قال عز وجل.

ونلجئ في أمورنا إلى الله ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه.

ونقول إن كلام الله غير مخلوق، وإن من قال بخلق القرآن فهو كافر.

وندين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ.

ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال عز وجل: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾.

وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدينا، وأن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

وندين بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمور كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون.

ونقول إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبههما مستحلاً لها غير معتقد لتحريمها كان كافراً.

ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً.

وندين لله عز وجـل بأنـه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابـع الله عز وجل.

وأنـه عز وجـل يضع السمـوات على إصبع والأرضين على إصبـع كمـا جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ.

وندين بأن لا ننزل أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة.

ونرجوا الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين.

ونقول إن الله عز وجل يخرج قـوماً من النـار بعد أن امتحشـوا بشفاعـة الرسول ﷺ تصديقاً لما جاءت به الروايات عن الرسول ﷺ.

ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض.

وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين.

وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

ونسلم بالروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عـدل عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ.

ونـدين بحب السلف الذين اختـارهم الله عز وجـل لصحبة نبيـه عليـه السلام ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهـم أجمعين.

ونقول إن الإمام الفـاضل بعـد رسول الله ﷺ أبـو بكر الصـديق رضوان الله عليه.

وإن الله أعزّ به الدين وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون بالإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة وسموه جميعهم خليفة رسول الله ﷺ.

ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه وإن الذين قتلوه قتلوه ظلماً وعدواناً.

ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ وخلافتهم خلافة النبوة ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها، ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ ونكف عما شجر بينهم.

وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول هل من سائل، هل من مستغفر، وبسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل، ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه: ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾.

وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ وكما قال: ﴿**ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾.

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وغيره. كما أن روي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحجاج.

وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافاً لمن أنكر ذلك. ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الإستقامة.

وندين بانكار الخروج بالسيف وترك القتال في الفتنة ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ.

ونؤمن بعذاب القبر ونكير ومنكر ومسائلتهما المدفونين بقبورهم. ونصدق بحديث المعراج.

ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام ونقر أن لذلك تفسيراً.

ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم: ونؤمن أن الله ينفعهم بذلك، ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحراً، وأن السحر كائن موجود في الدنيا.

وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجر وتوارثهم.

ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات وقتل فبأجله مات وقتل، وأن الأرزاق من قبل الله يرزقها عباده حلالاً وحراماً وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويسلكه ويتخبطه خلافاً لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله عز وجل: ﴿**الذين يأكلون الربى لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾ وكما قال: ﴿**من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس**﴾.

ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عز وجل بآيات يظهرها عليهم.

وقولنا في أطفال المشركين إن الله يؤجج لهم في الآخرة ناراً ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد

عاملون وإلى ما هم صائرون وما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين، ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعته ومجانبة أهل الهوى. انتهى بحروفه.

هذا مجمل عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري التي استقر أمره عليها بعد أن أقام على مذهب الاعتزال أربعين عاماً. ذكره في أول كتابه الإبانة وفصله باباً باباً فراجعها إن شئت تجد ما يشفي ويكفي.

فتأمل أيها الأخ المنصف هذه العقيدة ما أوضحها وابينها واعترف بفضل هذا الإمام العالم الذي شرحها وبينها وانظر سهولة لفظها فما أفصحه وأحسنه. وكن ممن قال الله فيهم ﴿**الذين يستعمون القول فيتبعون أحسنه**﴾ وتبين فضل أبي الحسن الأشعري واعرف إنصافه واسمع وصفه للإمام أحمد بن حنبل بالفضل لتعلم أنهما كانا في الاعتقاد متفقين وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين.

ولعمري أن هذه العقيدة ينبغي لكل مسلم أن يعتقدها ولا يخرج عن شيء منها إلا من في قلبه غش ونكد.

نسأل الله تعالى الثبات عليها ونستودعها عند من لا تضيع عنده وديعة. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد معلم الخيرات وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تجزى فيه الحسنات.

حماد الأنصاري

مقدمة الطبعة الأولى

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرفا.

أمَّا بعد، فهذا كتاب «**الإبانة عن أصول الديانة**» للإمام علي بن إسماعيل بن إسحاق أبي الحسن الأشعري رحمه الله من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، نقدمه للناس في وقت أحوج ما يكون فيه المسلمون إلى تصحيح عقائدهم، والرجوع فيها إلى النبع الصافي، من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وكتابه هذا يعطينا صورة صادقة لما كانت عليه عقيدة الأمة في قرونها الخيرة التي تلقوها عن أئمتهم، أخذاً من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وتبين كيف بثوها بين الناس ودعوا إليها، وذبوا عنها، وامتحنوا من أجلها.

وذكر على سبيل المثال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة

في عصـره، وما امتحن بـه من أجل عقيـدة الإسلام من قبـل المعتزلـة الذين حاولوا أن يحكموا عقولهم ويقدِّموها على كتاب الله تعالى وسنة رسـوله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك قال الأشعري في أول كتابه: (وقـولنا الـذي نقول به، وديانتنـا التي ندين بهـا: التمسك بكتـاب ربنا عـز وجل وسنـة نبينا عليـه السـلام، وما روي عن الصحـابـة والتـابعين وأئمـة الحـديث، ونحن بـذلـك معتصمون، وبما كان يقول بـه أبو عبـد الله أحمد بن حنبـل ـ نضر الله وجهـه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون).

هذه عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري التي استقـر أمره عليهـا بعد أن أقـام على مذهب الاعتـزال إلى مـا بعـد الأربعين من عمـره، حيث أيقظ عـز وجل بصيرته، وهو في بداية نضجه وذلك سنـة ٣٠٤ هـ، فأعلن رجـوعه عن تعطيل المعتزلة، وأظهر فضائحهم وقبائحهم، ولذلك شنعوا عليـه ونسبوا إليـه الأباطيل.

وممن قـال بـرجـوعـه عن مـذهب الاعتـزال: ابن خلكـان في «وفيـات الأعيـان» والحافظ الـذهبي في «العلو للعلي الغفـار» وابن كثيـر في «البـدايـة والنهاية» والسبكي في «طبقات الشافعيـة» وابن فرحـون المالكي في «الـديباج المذهب» والمرتضى في «شرح الإحياء».

وقد مرَّ الإمام الأشعري بثلاثة أحوال: الحال الأول الاعتزال، وقد تاب منـه ورجع عنـه، والحـال الثـاني: إثبـات الصفـات العقليـة السبعـة، وهي: الحيـاة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمـع، والبصر، والكـلام، وتـأويـل الصفـات الخبريـة، كالـوجه، واليـدين، والقدم، والسـاق، والحال الثـالث: إثبـات ذلك كله من غيـر تكييف ولا تشبيه جـرياً على منـوال السلف الصالـح رضي الله عنهم، وهي طريقته في «الإبانة» الذي ألفه أخيراً.

وممن عـزى «الإبانـة» إليه: الإمـام البيهقي، والحـافظ الـذهبي، وابن

فرحون المالكي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزيـة، وابن كثير، وابن العماد الحنبلي.

وهو آخر كتـاب صنفه، وعليـه يعتمد أصحـابه في الـذب عنه عنـد من يطعن عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة، سلك طـريق أهل السنـة والحديث، وانتسب إلى الإمـام أحمد بن حنبـل كما ذكر ذلك في كتبه كـ «الإبانة» وغيرها.

وقـال ابن القيم: وأبو الحسن الأشعـري وأئمة أصحـابـه متفقـون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كالإستواء، والوجه، واليـدين، وعلى إبطال تأويلها.

وهي عقيدة السلف الصالح التي تلقوهـا عن رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم وعن أصحابـه وعن التابعين لهم بـإحسان، وهي العقيـدة السليمة والطريقة المستقيمة، التي ينبغي على كل مسلم أن يسلك سبيلهـا، وأن يسير على منهاجها، وهي أسلم وأحكم، بلا شك ولا ريب.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعـوا. وقال عمـر ابن عبد العزيز رحمه الله: قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفـوا. وقال الإمـام الأوزاعي رحمه الله: عليـك بآثـار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخـرفوه لـك بالقـول. وقال الإمـام الشافعي رحمه الله: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله تعالى، وآمنت بـرسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقـال الفضيل بن عيـاض رحمه الله: الـزم طرق الهـدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين، والله تبارك وتعالى

تكفل بحفظ شريعته في كتابه المبين، فقال عز من قائل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩] ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالَ في حديثه المروي من طرق «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

طبعات الكتاب: طبع الكتاب أربع طبعات قبل هذه الطبعة:

الأولى في الهند في حيدر أباد الدكن في شهر ذي الحجة سنة ١٣٢١ هـ.

الثانية في مصر المطبعة المنيرية.

والثالثة بمطبعة الجمل المصرية سنة ١٣٤٩ هـ.

الرابعة في مصر ١٣٩٧ بتحقيق الدكتورة فوقية محمود التي قالت إنها اعتمدت في ذلك على أربع نسخ خطية، وقدمت للكتاب بمقدمة وأرفقته بحواشي تبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف نص «الإبانة».

والطبعات الثلاثة مليئة بالأخطاء والتصحيف الذي لم تنج من الآيات والأحاديث وخاصة الطبعة الثالثة المحققة!! كما أنه لم تخل هذه الطبعات من سقط وإن كان قليلاً.

العمل في الكتاب:

لقد تعذر الحصول على مخطوط للكتاب لذا تم تصحيحه على الطبعات الآنفة الذكر. فقد قمت مع الأستاذ حسن السماحي ـ جزاه الله خيراً ـ بمقابلة الطبعات بعضها مع بعض للوصول إلى نص أقرب إلى الصواب.

ثم دفعت الكتاب إلى الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط الذي عرف

بتخصصه في علوم السنة النبوية الشريفة ـ فقام بتخريج أحاديثه تخريجاً سريعاً ـ فجزاه الله كل خير.

وبذلك خرج هذا الكتاب أقرب إلى الكمال عن طبعاته السابقة. وعسى الله أن ييسر في مستقبل الأيام ـ إن شاء الله ـ تقديمه في صورة أكمل وأفضل إنه على كل شيء قدير ونسأل الله عز وجل أن يثبتنا على الاعتقاد الصحيح، والسبيل السليم، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق في ١ ذي الحجة/١٤٠٠ هـ.

بشير محمد عيون

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين
وهو حسبي ونعم الوكيل

قال السيّد الشيخ الإمام العالم أبو الحسن عليُّ بن إسماعيل بن علي بن أبي بشر الأشعري البصري رحمه الله:

١ ـ الحمد لله الأحد[١] الواحد، العزيز الماجد، المتفرد بالتوحيد، المتَمَجِّد[٢] بالتمجيد، الذي لا تَبْلُغُه صفاتُ العبيد، وليس له مثل ولا نَديد، وهو المبدي المعيد، ، الفعَّالُ لما يريد، جلَّ عن اتخاذ الصاحبة والأبناء[٣]، وتقدس عن ملامسة النساء[٤]، فليست له عزة تُقال، ولا حَدٌّ يُضْرَب له فيه المثال، لم يَزَل بصفاته أولاً قديراً، ولا يزال عالماً خبيراً، سبق[٥] الأشياءَ عِلْمُهُ، ونفذت فيها إرادتهُ، ولم تعزُب عنه خفيَّات الأمور، ولم تغيِّره سوالفُ صروف الدهور، وَلَمْ يَلْحَقْه في خَلقِ شيءٍ مما خلق كَلال ولا تعبٌ، وَلا مَسَّهُ لُغوبٌ ولا نَصَبٌ، خَلَقَ الأشياءَ بقدرته، ودبَّرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذلّلها بعزته، فذلَّ لعظمته المتكبِّرون، واستكان لعز[٦] ربوبيته المتعظِّمون،

(١) زيادة من مقدمة الكتاب كما وردت في «التبين» ص ١٥٢.

(٢) في نسخة المتفرد، وما أثبتناه من غالب النسخ، وهو الموافق لمقدمة الكتاب التي ذكرها ابن عساكر في «التبين» ص ١٥٢.

(٣) في الأصول الصواحب والأولاد وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر انظر «التبين».

(٤) في نسخة: للالبسة الأجناس والأرجاس، وما أثبتناه من بعض الأصول، ومن نسخة ابن عساكر.

(٥) في الأصول: استوفى وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر لعله الصواب، والله أعلم.

(٦) في نسخة ابن عساكر: لعظمته.

وانقطع دون الرسوخ في علمه الممترون[1]، وذلت له الرقاب، وحارت في ملكوته فِطَنُ ذوي الألباب، وقامت بكلمته[2] السموات السبع، واستقرت الأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياحُ اللواقحُ، وسار في جو السماء السحابُ، وقامت على حدودها البحار، وهو الله الواحدُ القَهَّار[3] يخضعُ له المتعزِّزون، ويخشع له المُترفعون، ويدين طوعاً وكرهاً له العالمون.

* * *

٢ ـ نحمَدُهُ كما حمِدَ نفسه، وكما هو[4] أهله ومستحقه، وكما حَمِدَه الحامدون من جميع خلقه، ونستعينه استعانة من فَوَّض أمرَه إليه، وأَقَرَّ أَنَّه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، ونستغفره استغفار مُقِرٍّ بذنبه، معترف بخطيئته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بوحدانيته وإخلاصاً لربوبيته، وأنه العالِمُ بما تُبْطِنُه الضمائر، وتَنْطَوي عليه السرائر، وما تخفيه النفوس، وما تخزن[5] البحار، وما تواري الأسرار، ﴿**وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَار**﴾ [الرعد: ٨]، لا تُوارىٰ عنه كلمةٌ ولا تَغيب عنه غائبة ﴿**وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [الأنعام: ٥٩] ويعلم ما يعمل العاملون، وما يَنْقَلِب إليه المنقلبون[6].

٣ ـ ونستهدي[7] الله بالهدى، ونَسأَلُهُ التوفيق لمجانبة الردى.

---

(١) في الأصول: العالمون، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر.
(٢) في نسخة بحكمته.
(٣) في نسخة ابن عساكر: وهو إله قاهر.
(٤) في نسخة ابن عساكر: كما ربنا له أهل ونستعينه.. الخ.
(٥) في الأصول: تجن، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر.
(٦) في نسخة ابن عساكر: وإلى أن ينقلب المنقلبون.
(٧) في الأصول: ونستهديه، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر.

٤ ـ ونشهدأن محمداًصلى اللهعليه وسلم عبده ونبيـه،ورسولـهإلى خلقه وأمينه علي وحيه، أرسله إلى خلقه بالنور الساطع، والسراج اللامع، والحُجَج الظاهرة، والبراهين الزاهرة والآيات الباهرة، والأعاجيب القاهرة، فَبلَّغَ عن الله رسالاته. ونصح له في بريَّاته، وجاهد في الله حق الجهاد. وقاتل أهل العناد، حتى تمت كلمة الله عَزَ وجل، وظَهَرَ أَمْرُهُ وانقادَ النـاسُ للحقِ أجمعين[1] حتى أتـاه اليقين، لا وانيـاً ولا مقصـراً، فصلوات الله عليـه من قـائـدٍ إلى الهـدى، مُبين[2] عن ضلالة وعمى، وعلى آل بيتـه الطيبين، وعلى أصحـابه المنتخَبين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهاتِ المؤمنين.

عرَّفنا الله به[3] الشرائعَ والأحكام، والحلال والحرام. وبين لنا به شريعةَ الإسـلام، حتى انجلت به طَخْيـاء[4] الظلام، وانحسـرت به عنـا الشبهـات، وانكشفت به عنا الغيابات، وظهرت لنا به البينات.

جاءنا بـ ﴿كِتَـابٍ عَزِيـزٍ * لَا يَأْتِيـهُ البَاطِـلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْـهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْــزِيــلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيــدٍ﴾ [فصلت: ٤٠ ـ ٤١] جمـع فيـه عِلْمَ الأولـين والآخـرين، وأكمـل بـه الفـرائض والـدين، فهـو صــراط الله المستقيم وحبلُه المتين، من تَمسَّـك به نجـا، ومن خالفـه ضَلَّ وغـوى، وفي الجهـل تَـرَدَّى، وحَثَّ الله في كتابه على التمسك بسنة رسـوله صلى الله عليـه وسلم فقال عـز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَـا نَهَاكُم عَنْـهُ فَانْتَهُـوا﴾ [الحشر: ٧]. وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَـةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلىٰ الرَّسُولِ وَإِلىٰ أُولِي الأمـرِ مِنْهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم﴾ [النساء: ٨٣]. وقال: ﴿وَمَـا اخْتَلَفْتُم فِيهِ

(١) في الأصول: خاضعين، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر.

(٢) مبين: مزيل.

(٣) في نسخة ابن عساكر: صلوات الله على من أظهر الشرائع... الخ.

(٤) طخياء الظلام: الظلمة الشديدة.

مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، يقول: إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وقال: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾** [النجم: ٣ ـ ٤]، وقال: **﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾** [يونس: ١٥].

وقال: **﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** [النور: ٥١]. فأمرهم[١] أن يسمعوا قوله، ويطيعوا أمره، ويحذروا مخالفته. وقال: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾** [النساء: ٥٩]، فأمرهم بطاعةِ رَسولِهِ صلى الله عليه وسلم، كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما أمرهم بالعمل بكتابه.

٥ ـ فَنَبَذَ كثيرٌ ممن غلبت عليهم شقوتهم[٢] واستحوذ عليهم الشيطان سُنَنَ نبي الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، ومالوا إلى أسلافٍ لهم قلدوهم بدينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سُنَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضوها[٣]، وأنكروها وجحدوها، افتراءً منهم على الله، **﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾** [الأنعام: ١٤٠].

أوصيكم عِباد الله بتقوى الله عز وجل، وأُحذِّركم الدنيا فإنها حُلْوة خَضِرَةٌ، تغرُّ أَهلَها، وَتَخْدَعُ سكَّانَها، قال الله تعالى: **﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾** الآية [الكهف: ٤٥]. من كان فيها في حَيْرَةٍ[٤] أعقبته بعدها عَبْرة، ومن أعطته من سرَّائها بطناً أعقبته من

---

(١) في نسخة ابن عساكر: وأمرهم.

(٢) في الأصول: شقوته، وما أثبتناه أصح، وفي نسخة ابن عساكر اختلاف يسير عما ها هنا، ففيه: غلبت عليه شقوته، واستحوذت عليه بليته؛ ثم تتوافق مع الأصول.

(٣) في نسخ: دفعوها.

(٤) لعلها حَبْرَةَ بالباء الموحدة وهي النعمة، كما في «اللسان».

ضرَّائها ظهراً، غرَّارةٌ، غرور ما فيها، فانية، فانٍ ما عليها، كما حكم عليها ربُّها بقوله تعالى إذ يقول: ﴿**كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ [الرحمن: ٢٦].

فاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمة، ولخلود الأبد، فإن الدنيا تنقضي عن أهلها، وتبقى الأعمالُ قَلائِدَ في رقابِ أهلها.

واعلموا أنكم ميِّتون، ثم إنكم من بعد موتكم إلى ربكم راجعون[1] ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤوا بِما عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنوا بِالْحُسْنَى**﴾ [النجم: ٣١] فكونوا بطاعة ربكم عاملين، وعما نهاكم عنه منتهين.

* * *

---

(١) في نسخة ابن عساكر: تصيرون.

البَابُ الأَوَل(*)
في إبانَةِ قَوْلِ أهْلِ الزَّيغِ وَالبِدْعَةِ

٦ ـ أما بعد: فإن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة[١] وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأَوَّلوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم يُنْزِل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسولِ ربِ العالمين، ولا عن السلف المتقدمين.

٧ ـ فخالفوا روايات الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في رؤية الله عز وجل بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات، وتواترت بها الآثار، وتتابعت بها الأخبار.

٨ ـ وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين، وردوا[٢] الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين.

٩ ـ وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذَّبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

(*) في نسخ باب، وفي أخرى فصل، وادخال آل التعريف على الباب، ووصفه بالأول من المحقق وكذلك في باقي الأبواب.

(١) قال: أبو الحسين الخياط في كتابه «الانتصار»: ليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي. انظر بيان ذلك في «شرح الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان.

(٢) في نسخة دفعوا.

ودانـوا بخلق القرآن نـظيراً لقـول اخوانهم من المشـركين الذين قـالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ البَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، فزعموا أن القرآن كقول البشر.

١١ ـ وأثبتـوا، وأيقنوا أن العباد يخلقون الشـر، نظيـراً لقول المجـوس الذين أثبتوا خالِقَيْنِ: أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر(١)

وزعمت القـدرية(٢) أن الله عـز وجل يَخْلُقُ الخيـر، وأن الشيطان يخلق الشر.

١٢ ـ وزعموا أن الله عزَ وجـل يشاء مـا لا يكون، ويكـون ما لا يشـاء، خلافاً لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان، وما لم يشـأ لم يكن، ورداً لقـول الله عز وجـل: ﴿وَمَا تَشَـاؤُونَ إِلاّ أَنْ يَشَاء الله﴾ [الإنسان: ٣٠]. فأخبر تعالى أنَّا لا نشاء شيئاً إلا وقد شاء الله أن نشاءَه، ولقولـه تعالى: ﴿وَلَـوْ شَاءَ الله ما اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣] ولقوله تعالى: ﴿وَلَـوْ شِئْنَا لآتَيْنَـا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، ولقوله تعالى: ﴿فَعَّـالٌ لِمَا يُـرِيدُ﴾ [البـروج: ١٦] ولقوله تعالى مخبراً عن نبيه شعيب صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿وَمَـا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهـا إلا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّنـا وَسعَ رَبُّنـا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمَـاً﴾ [الأعراف: ٨٩] ولهذا سماهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم «مجـوس هذه الأمـة»(٣)، لأنهم دانوا بديانة المجوس وضاهوا أقاويلهم.

---

(١) انظر كتاب «زرادشت الحكيم» لحامد عبد القادر ص ٧٩ وما بعدها.

(٢) القدرية: هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى.

(٣) رواه أبـو داود رقم (٤٦٩١) في السنة: بـاب في القدر والحـاكم في «المستـدرك» ١/٨٥ من حـديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفـوعاً بلفظ «القـدرية مجـوس هذه الأمـة»، وأحمد في «المسنـد» ٢/٨٦ من حـديث ابن عمرو أيضـاً بلفظ «لكل أمـة مجوس، ومجـوس أمتي الذين يقـولون لا قـدر» والأجري في «الشريعة» (١٩٠).

رواه أيضاً أحمد في «المسند» ٥/٤٠٦ و ٤٠٧. وأبوداود رقم (٤٦٩٢) من حـديث حذيفـة بن اليمان رضي الله عنه.

وابن ماجه رقم (٩٢) في المقدمة، من حديث جابر بنْ عبد الله رضي الله عنهما. وله شـاهد بـالمعنى =

وزعموا أن للخير والشر خَالِقَيْنِ، كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاء الله كما قالت المجوس.

وزعموا أنهم يملكون الضَّر والنفع لأنفسهم دون الله عز وجل، رداً لقول الله عزَّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وسلم: **﴿قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾** [الأعراف: ١٨٨] وإعراضاً[1] عن القرآن، وعما أجمع عليه أهل الإسلام.

١٣ ـ وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، فأثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله عز وجل، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يَصِفُوا الله عزَّ وجلّ بالقدرة عليه، كما أثبتت المجوس لعنهم الله للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل، فكانوا «مُجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ» إذ دانوا بديانة المجوس، وتمسكوا بأقاويلهم، ومالوا إلى أضاليلهم.

١٤ ـ وقَنَّطوا الناس من رحمة الله، وآيسوهم من روحه، وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها، خلافاً لقول الله عز وجل: **﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨].

١٥ ـ وزعموا أن من دخل النار لا يخرج منها خلافاً لما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قوماً بَعْدَ أَنْ امْتَحَشُوا فِيهَا وَصَارُوا حِمَماً»[2].

= عند الحاكم ١/٨٥ من حديث أبي هريرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بلفظ «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم» وهو حديث حسن بطرقه وشواهده كما قال الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣١٨).

(١) في نسخة ابن عساكر: وانحرافاً.

(٢) رواه البخاري رقم (٨٠٦) في الأذان: باب فضل السجود ورقم (٦٥٧٣) في الرقاق: باب الصراط ﴿جسر جهنم﴾ ورقم (٧٤٣٧) في التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، ومسلم رقم (١٨٢) في الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «امتحشوا» أي احترقوا.

١٦ ـ ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

١٧ ـ وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله سبحانه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

١٨ ـ وأنكروا أن يكون له عين مع قوله سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

١٩ ـ وأنكروا أن يكون الله علم مع قوله: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء ١٦٦].

٢٠ ـ وأنكروا أن تكون لله قوة مع قوله سبحانه: ﴿ذُو القُوَّةِ المتين﴾ [الذاريات: ٥٨].

٢١ ـ ونفوا ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم «أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا[1]...» وغير ذلك، مما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري رقم (١١٤٥)، في التهجد: باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ورقم (٦٣٢١) في الدعوات: باب الدعاء نصف الليل ورقم (٧٤٩٤) في التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ومسلم رقم (٧٥٨) في المسافرين: باب الترغيب في الدعاء والذكر، وأبو داود رقم (٤٧٣٣) في السنة: باب في الرد على الجهمية، وابن ماجه رقم (١٣٦٦) في إقامة الصلاة: باب أي ساعات الليل أفضل، ومالك في «الموطأ» ١/٢١٤، وأحمد في (المسند) ٢/٢٥٨، ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٨٧، ٥٠٤، والدارمي ١/٣٤٦، ٣٤٧، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وفي الباب عن علي وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم عن أحمد، وعن جبير بن مطعم ورفاعة الجهني رضي الله عنهما عند النسائي، وعن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما عند الطبراني، وعن عقبة بن عامر وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم عند الدارقطني. انظر «الإرواء» للألباني رقم (٤٥٠).
وقد افرد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى شرح هذا الحديث بمصنف مستقل أسماه «شرح حديث النزول» وهو مطبوع.

٢٢ ـ وكذلك جميع أهل البدع من الجهمية[1] والمرجئة[2] والحرورية[3]، أهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة، وما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وأجمعت عليه الأمة كفعل المعتزلة والقدرية، وأنا ذاكر ذلك باباً باباً وشيئاً شيئاً إن شاء الله وبه المعونة والتأييد، ومنه التوفيق والتسديد.

* * *

---

(١) الجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان، وهم الجبرية الخالصة، وافقوا المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزادوا عليهم أشياء أخرى.

(٢) الإرجاء على معنيين: أحدهما التأخير مثل قوله تعالى: ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أي أمهله وأخره، والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقيل: الإرجاء تأخير الحكم على صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يحكم عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار. اهـ. «أبو حنيفة» لأبي زهرة ص ١٥١.

(٣) المرجئة: وهم أصناف، صنف منهم يقول: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ وصنف يؤخر حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يحكم عليه إلا في الدنيا من كُفَرَتِهِ من أهل الجنة أو من أهل النار. اهـ. انظر «مقالات الإسلاميين للمصنف رحمه الله تعالى ١/١٣).

(٤) الحرورية: هم الخوارج، ونسبتهم هذه إلى «حروراء»: وهو موضع بظاهر الكوفة، وبه كان أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا علياً رضي الله عنه وخرجوا عليه.

البَابُ الثَّاني
في إبَانَةِ قَوْلِ أَهْلِ الحَقِ والسُّنَّةِ

٢٣ ـ فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قولَ المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

٢٤ ـ قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: **التمسكُ بكتاب ربنا عزَّ وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون. وبما كان يقول به[1] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته، قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، عند ظهور[2] الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين وشك الشاكِّين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وجليل معظَّم، وكبير مفخَّم، وعلى جميع أئمة المسلمين.**

٢٥ ـ **وجملة قولنا: إنَّا نُقِرُّ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نرد من ذلك شيئاً[3].**

---

(١) في نسخة ابن عساكر: وبما كان عليه.

(٢) في الأصول: ودفع به، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر.

(٣) في نسخة ابن عساكر: أن

(٤) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤٠٣.

وأن الله عزَّ وجل إله واحد لا إلـه إلا هو، فـرد صمد لم يتخـذ صاحبـة ولا ولداً[1]

وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق[2].

٢٦ ـ وأن الجنةَ حقٌّ والنارَ حَقٌّ[3]. وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور[4].

٢٧ ـ وأن الله استـوى على عرشـه كما قـال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥][5].

٢٨ ـ وأن له سبحانه وجهاً بـلا كيف كما قـال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّـكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

٢٩ ـ وأن له سبحانـه يَدَيْنْ بـلا كيف[6]، كما قـال سبحانـه: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

٣٠ ـ وأن لـه عيناً بـلا كيف، كما قـال سبحـانـه: ﴿تَجْـرِي بِـأَعْيُنِنَـا﴾ [القمر: ١٤].

٣١ ـ وأن من زعم أن اسم[7] الله غيره كان ضالاً.

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ١٥ ـ ٤٢.

(٢) انظر «شرح الطحاوية» ص ١١٠ ـ ١٣٥.

(٣) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤٨٤ ـ ٤٩٩.

(٤) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤٦٣ ـ ٤٨٤.

(٥) جاء في نسخة بلدية الاسكندرية ها هنا زيادة لم ترد في بقية الأصول، وربما تكون مقحمة من الناسخ وهي قوله:
على الـوجه الـذي قالـه، وبالمعنى الـذي أراده، استواءً منـزهـاً عن الممـارسـة والاستقـرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بـل العرش وحملتـه محمولـون بلطف قدرتـه، ومقهورون في قبضتـه، وهو فـوق العرش، وفـوق كل شيء إلى تخـوم الثرى، فـوقيّة لا تـزيـده قـربـاً إلى العـرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات على العرش كما هو رفيع الدرجات على الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد.

(٦) في نسخة ابن عساكر: وأن له يداً.

(٧) في الأصول: أسماء، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر انظر شرح الطحاوية ص ٨٠ ـ ٨١.

٣٢ ـ وأن لله عِلْماً كما قال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] وكما قال: ﴿وما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى ولا تَضَعَ إلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١].

٣٣ ـ ونثبت أن لله قدرة[1] كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَهُمْ هو أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

٣٤ ـ ونثبت لله السمعَ والبصرَ ولا ننفي ذلك، كما نَفَتْهُ المعتزلة والجهمية والخوارج.

٣٥ ـ ونقول: إن كلام الله غيرُ مخلوق، وإنه سبحانه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له: «كن فيكون»، كما قال: ﴿إِنَّما قَوْلُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠][2].

٣٦ ـ وأنَّه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عزَّ وجلّ وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله.

ولا نستغني عن الله، ولا نقدر على الخروج من علم الله عزَّ وجل[3].

---

(١) في الأصول: قوة، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر.

(٢) قال القاضي ابن أبي العز الحنفي في «شرح لبعقيدة الطحاوية» ص ١٤٩ ـ ١٥٠ بتحقيقنا:

بل كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، كما قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى في «الفقه الأكبر»، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة، وإذا قيل المكتوب في المصحف كلام الله فهم منه معنى صحيح حقيقي، وإذا قيل: فيه خط فلان وكتابته، فهم منه معنى صحيح حقيقي، وإذا قيل: فيه مداد قد كتب به، فهم منه معنى صحيح حقيقي، وإذا قيل: المداد في المصحف، كانت الظرفية فيه غير الظرفية المفهومة من قول القائل: فيه السماوات والأرض، وفيه محمد وعيسى ونحو ذلك، وهذا المعنيان مغايران لمعنى قول القائل: فيه خط فلان الكاتب، وهذه المعاني الثلاثة مغايرة لمعنى قول القائل: فيه كلام الله، ومن لم يتنبه للفروق بين هذه المعاني ضلَّ ولم يهتد للصواب.

وكذلك الفرق بين القراءة التي هي فعل القارىء والمقروء الذي هو قول الباري، من لم يهتد له، فهو ضال أيضاً، ولو أن إنساناً وجد في ورقة مكتوباً

ألا كل شي ما خلا الله باطل

من خط كاتب معروف لقال: هذا من كلام لبيد حقيقة، وهذا خط فلان حقيقة، وهذا كل شيء حقيقة، وهذا خبر حقيقة ولا تشتبه هذه الحقيقة بالأخرى. أ هـ.

(٣) انظر «شرح الطحاوية» ص ٩٣ ـ ٩٨.

٣٧ ـ وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة لـه كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦][1].

وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقـون، كما قـال: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فـاطـر: ٣]. وكمـا قـال: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠]. وكما قال سبحـانه: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾ [النحـل: ١٧]، وكمـا قـال ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]. وهذا في كتاب الله كثير.

٣٨ ـ وأن الله وفَّق المؤمنين لـطاعتِـه، ولـطف بهم، ونـظر إليهم[2]، وأصلحهم، وهـداهم، وأضـل الكـافـرين، ولم يهـدهم، ولم يلطف بهم بالإيمان، كما زعم أهل الـزيغ والـطغيان، ولـو لطف بهم وأصلحهم لكـانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، كمـا قال تبـارك وتعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ الله فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]

وأن الله يَقْدِر أَنْ يُصْلِح الكافرين، ويلطف بهم[4] حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم[5].

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ٧٢ ـ ٧٣ و ٨٧ ـ ٩٢.

(٢) في نسخة ابن عساكر: لهم.

(٣) انظر «شرح الطحاوية» ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠.

(٤) في نسخة ابن عساكر: لهم.

(٥) كتب الحسن البصري رسالة إلى قوم من أهل البصرة ادعوا الجبر؛ «من لم يؤمن بالله وقضائه وقـدره فقد كفر، ومن حمـل ذنبه على ربـه فقد كفـر، إن الله لا يطاع استكـراهاً، ولا يعصى غلبة ، لأن المليك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن عملوا بالطاعة لم يحـل بينهم وبين ما فعلوا، وإن عملوابالمعصيةفلو شاء لحال بينهم وبين مـا فعلوا، فإذا لم يفعلوا فليس هـو الذي أجبـرهم على ذلـك، فلو أجبر الله الخلق على الـطاعة لأسقط عنهم الثـواب، ولو أجبـرهم على المعـاصي لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم لكـان عجزاً عن القـدرة، ولكن له فيهم المشيئـة التي غيبها عنهم، فـإن عملوا بالطاعـات كانت لـه المنة عليهم، وإن عملوا بـالمعصية كـانت له الحجـة عليهم. اهـ. «أبو حنيفة» لمحمد أبي زهرة. ص (١٥٨).

٣٩ ـ وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره. وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومره. ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا[١].

وأن لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً[٢] إلا ما شاء الله كما قال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعَاً وَلَا ضَرَّاً إِلَّا مَا شَاء الله﴾ [الأعراف: ١٨٨][٣].

٤٠ ـ وأنا نَلْجَأُ في أمورنا إلى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه.

٤١ ـ ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر[٤].

٤٢ ـ وندين بأن الله تعالى يُرى في الآخرة[٥] بالأبصار كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦].

---

(١) روى الترمذي رقم (٢٥١٨) في صفة القيامة: باب رقم ٢٦٠، وأحمد في «المسند» ٢٩٣ و٣٠٣ و٣٠٧، وابي السني رقم (٤٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». وهو حديث صحيح. انظر شرح الحديث لابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في رسالته: « نور الاقتباس في شرح وصية ابن عباس».

(٢) في الأصول: وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر.

(٣) انظر «شرح الطحاوية» ص ١٠٥ ـ ١٠٨ و٢٤٨ ـ ٢٩٠.

(٤) في نسخة ابن عساكر: كان كافراً.

(٥) في نسخة ابن عساكر: يوم القيامة.

(٦) انظر «شرح الطحاوية» ص ١٦٣ ـ ١٨١ و ١٤٥ ـ ٢٠٤ وتقدم الحديث ص (٤٠) رقم (٢).

ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة. كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وأن موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا، وأن الله سبحانه تجلى للجبل، فجعله دَكّاً، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

٤٣ ـ وندين[١] بأن لا نُكَفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج وزعموا أنهم بذلك كافرون. ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبههما مستحِلاً لها غير معتقد بتحريمها كان كافراً.

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمان[٢].

٤٤ ـ وندين بأن الله تعالى يُقلِّب القلوب «وَأَنَّ القُلُوبَ بيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابعه[٣]و[٤]، وأن الله عز وجل »يضع السموات والأرضين على أصبع«[٥] كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف.

---

(١) في نسخة ابن عساكر: ونرى.

(٢) انظر «شرح الطحاوية» ص ٢٣٨ ـ ٣٥٠.

(٣) في نسخة: أصابع الله عز وجل.

(٤) مسلم رقم (٢٦٥٤) في القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، وأحمد في «المسند» ١٦٨/٢ و١٧٣ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وفي الباب عن أنس، والنواس بن سمعان وأم سلمة وعائشة رضي الله عنهم.

(٥) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد الله يجعل السموات على أصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾** [الزمر: ٦٧] رواه البخاري رقم (٤٨١١) في التفسير: باب **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** ورقم ٧٤٧١٤١ ـ ٧٤٧١٥ و٧٥١٣)، ومسلم رقم (٢٧٨٦) في المنافقين: باب صفة القيامة والجنة والنار، والترمذي رقم (٣٢٣٦) و(٣٢٣٨) في التفسير: باب ومن سورة الزمر، وأحمد في «المسند» ٤٥٧/١.

٤٥ ـ وندين بأن لا ننزل أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنةً ولا ناراً[١] إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين[٢].

٤٦ ـ ونقول: إن الله عز وجل يخرج من النار قوماً «بعد أن امتحشوا[٣] بشفاعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم» تصديقاً لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤].

٤٧ ـ ونؤمن بعذاب القبر ونقول: إنَّ الحوض والميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق. وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين[٥].

٤٨ ـ وأن الإيمان قولٌ وعَملٌ يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهي الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤٩ ـ وندين بحب السلف. الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٢) في بعض النسخ زيادة: [أجارنا الله عنها بشفاعة سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم]، وهي غير موجودة في نسخة ابن عساكر، فالأرجح أنها مقحمة من الناسخ.

(٣) خروجهم من النار بعد أن امتحشوا، تقدم تخريجه ص ٤٠ .

(٤) حديث الشفاعة رواه البخاري رقم (٣٣٤٠) في الأنبياء: باب قول الله عز وجل ﴿**لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾، ورقم (١٣٣٦١]: باب يزفون: النسلان في المشي، ورقم (٤٨٦٩) في تفسير سورة بني اسرائيل: باب ﴿**ذرية من حملنا مع نوح...**﴾، ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة، وأحمد في »المسند» ٢[٥٤٠، والترمذي رقم (٢٤٣٦) في صفة القيامة: باب ما جاء في الشفاعة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورقم (٤٤٧٦) في التفسير و (٦٥٦٥) في الرقاق و (٧٤١٠) في التوحيد، ومسلم رقم (١٩٣)، وابن ماجة رقم (٤٣١٢) في الزهد؛ باب ذكر الشفاعة، وأحمد في «المسند» ١١٦/٣ و ٢٤٤ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) انظر «شرح الطحاوية» ص ٢٢٠ ـ ٢٥٣ و ٤٥١ ـ ٤٦٣

صلى الله عليــه وسلم، ونثني عليهم بمــا أثنى الله بــه عــليهـم، ونتــولاهــم أجمعين[1].

٥٠ ـ ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، وإن الله سبحانه وتعـالى أعزّ بـه الدين وأظهـره على المرتدين، وقدّمه المسلمون للإمامة، كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة[2]، وسَمَوْهُ بأجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم عثمــان بن عفـان نضـر الله وجهـه، وأن الــذين قتلوه قتلوه ظلمـاً وعدواناً.

ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهؤلاء الأئمة بعـد رسول الله صلى الله عليـه وسلم وخلافتهم خـلافـة النبوة.

٥١ ـ ونشهد بالجنـة للعشرة الـذين شهد لهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم بها[3].

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤ و ٥٤٥ ـ ٥٥٢.

(٢) وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «مروا أبا بكر فليصل بـالناس» رواه البخـاري رقم (٦٧٨] في الأذان: باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ورقم (٣٣٨٥) في الأنبياء: باب قـول الله تعالى: ﴿لقـد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ ومسلم رقم (٤٢٠) في الصلاة: باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيـرهما، من حـديث أبي موسى الأشعـري رضي الله عنه. وفي البـاب عن عائشة والعباس رضي الله عنهما.

(٣) وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أني سمعته يقـول: «عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمـان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عـوف في الجنة» ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ قال: سعيد بن زيـد وقال: لمشهـد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَغْبَرُّ منه وجهه خير من عمل أحـدكم، ولو عُمِّـر عُمْرَ نـوح. رواه أبــو داود رقم (٤٦٤٩) و(٤٦٥٠) في السنـة: بــاب في الخلفـاء، والتــرمــذي رقم (٣٧٤٩ و ٣٧٥٨) وابن ماجة رقم (١٣٤) وهو حديث صحيح.
انظر «شرح الطحاوية» ص ٥٧١ ـ ٥٧٧.

ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونكف عما شجر بينهم.

وندين بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم.

٥٢ ـ ونصدق جميعَ الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، «وأن الرب عز وجل يقول: ﴿هَلْ مِنْ سَائِلٍ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ﴾»[1] وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل.

٥٣ ـ ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب رَبِّنا عز وجل وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وإجماع المسلمين، وما كان في معناه[2]، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها[3]، ولا نقولُ على الله ما لا نعلم.

٥٤ ـ ونقول: إنَّ الله عزّ وجلّ يجيء يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وإن الله عز وجل يَقْرُب من عباده كيف شاء بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وكما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨ ـ ٩].

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٥.

(٢) أي القياس. انظر حجية القياس في كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي بتحقيق أحمد محمد شاكر.

(٣) قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» ص ٣٩٢: كل فريق من أصحاب البدع يعرض النصوص على بدعته وما ظنه معقولاً، فما وافقته قال: إنه محكم وقبله واحتج به، وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم رده وسمى ردّه تفويضاً، أو حرفه وسمى تحريفه تأويلاً. ا هـ.

قلت: وأما المتكلمون فقد أسقطوا النصوص كلها بحجة أنها أدلة سمعية وأن المعمول عندهم على الأدلة العقلية، ولازم كلامهم أن النصوص لا وزن لها في ميزان العقل.

انظر في بيان التحذير من البدع: «الحوادث والبدع» للطرطوشي و«الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة، وهما من تحقيقنا ومن منشورات مكتبة دار البيان بدمشق.

٣٣ ـ ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد خلف كل برٍّ وفاجر كذلك وسائر الصلوات والجماعات[١] كما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي خلف الحجاج[٢].

٣٤ ـ وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافاً لقول من أنكر ذلك[٣].

٣٥ ـ ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والاقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم، إذا ظهر منهم ترك الاستقامة[٤]. وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة[٥].

٣٦ ـ ونقر بخروج الدجال[٦]، كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧][٨].

---

(١) قال أبو جعفر المنصور لشبيب بن شيبة التميمي، وذلك قبل أن يلي الأمر: فأما الصلاة ففرض الله تعالى. تعبد بها خلقه، فأد ما فرض الله عليك في كل وقت مع كل أحد وعلى كل حال، فإن الذي ندبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه بأنه لا يقبل منك نسكاً إلا مع أكمل المؤمنين إيماناً، ولو فعل ذلك بك ضاق عليك الأمر، فاسمح يسمح لك. ا هـ. عن كتاب «أبي جعفر المنصور» لعلي أدهم.

(٢) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤١٨ ـ ٤٢٤.

(٣) أنكر ذلك الخوارج.

(٤) انظر «شرح الطحاوية» ص ٣٩٧ ـ ٤٠٢.

(٥) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤٢٦ ـ ٤٣٠.

(٦) في نسخة أعاذنا الله من فتنته.

(٧) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس لها من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق». رواه البخاري رقم (١٨٨١) في فضائل المدينة: باب لا يدخل الدجال المدينة.

(٨) انظر «شرح الطحاوية» ص ٥٩٠ ـ ٥٩٤.

٥٩ ـ ونؤمن بعذاب القبر ومُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ[١] ومساءلتهما المدفونين في قبورهم[٢][٣].

---

(١) في نسخة: عليه الصلاة والسلام.

(٢) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤٥١ ـ ٤٦٣.

(٣) روى أحمد في «المسند» ٤/٢٨٧ و ٢٩٥ ـ ٢٩٦ والحاكم في «المستدرك» أبو داود رقم (٤٧٢٣) في السنة: باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، والنسائي ط/١٠١ في الجنائز: باب عذاب القبر ١/٣٧ ـ ٤٠ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بَقيع الغَرْقَد، فأتانا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُسِنَا الطَّيرَ، وَهُوَ يُلحَدُ لَهُ، فقال: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»، ثلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إذا كَانَ في إِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ وانقِطَاعٍ مِنَ الدُّنيا، نَزَلَتْ إليهِ المَلائِكَةُ، كَأَنَّ عَلى وُجُوهِهِم الشَّمْسَ، مَعَهُم كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصرِ، ثُمَّ يجيءُ مَلَكُ المَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخرُجِي إلى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ ورِضْوانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ في السِّقاءِ، فَيَأْخُذُها، فإذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ عَينٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا في ذٰلِكَ الكَفَنِ وذٰلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ منها ريح كَأَطْيَب نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بها. فَلاَ يَمُرّونَ بها، يَعْني عَلَى مَلأٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ، إلاَّ قَالُوا: ما هٰذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُون: فُلانُ بنُ فُلانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بها في الدُّنيا، حَتَّى يَنْتَهُوا بها إلى السَّماءِ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَماءٍ عَزَّ وَجَلَّ: اكتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي في علِّيين، وأَعِيدُوهُ إلى الأَرْضِ، فإنِّي منها خَلَقْتُهُم، وفيها أُعِيدُهُم، ومنها أُخْرِجُهُم تَارَةً أُخْرى، قَالَ: فَتُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ، فَيَأتِيهِ مَلَكَان، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رِبِّي اللَّهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: ما دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دينيَ الإسلامُ، فَيَقُولانِ لَهُ: ما هٰذَا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُم؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: ما عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّماءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافرُشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وافتَحُوا لَهُ بَاباً إلى الجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، ويُفْسَحُ لَهُ في قَبْرِهِ مَدّ بَصرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: ابشِرْ بالَّذِي يَسُرُّكَ. هٰذا يَوْمُكَ الَّذي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بالخَيرِ، فَيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: يا رَبُّ، أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرجِعَ إلى أَهْلي ومَالي.

قَالَ: وإنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ في انقِطَاعٍ مِنَ الدُّنيا وإِقبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إليه مِنَ السَّماءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُم المُسُوحُ، فَيَجلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخرُجِي إلى سَخطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَتَفَرَّقُ في جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كما يُنتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فإذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ =

٦٠ ـ ونصدق بحديث المعراج[١] ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام ونقول[٢] إن لذلك تفسيراً

٦١ ـ ونرى الصدقة عن موتى المسلمين، والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك[٣]

عَينٍ، حتَّى يَجْعَلُوهَا في تِلْكَ المُسُوحِ ، ويَخْرُجُ منها كَأَنْتَنِ ريحٍ خَبِيثَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. فَيَصْعَدُونَ بها، فَلاَ يَمُرُّونَ بها عَلَى مَلإٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: ما هٰذا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلانُ ابنُ فُلانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمائِهِ التي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِها في الدُّنيا، حتى يَنْتَهِي بها إلى السَّماءِ الدُّنيا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلاَ يُفْتَحُ لَـهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُم أَبْوَابُ السَّماءِ، ولا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط**﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: اكتُبُوا كِتَابَهُ في سِجِّينَ، في الأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحَاً، ثُمَّ قرأ: ﴿**ومن يشرك بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ في مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [الحج: ٣١]. فَتُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه، هَاه، لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ لَهُ: ما هٰذَا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُم، فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لا أدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّماءِ: أَنْ كَذَبَ، فافْرُشُوهُ مِنَ النَّارِ، وافتَحُوا لَهُ باباً إلى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِها، وَيَضِيقُ عَلَيهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ، وَيَأْتِيه رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بالَّذي يَسُوؤُكَ، هٰذا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الذي يَجِيءُ بالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ» وهو حديث صحيح. انظر «شرح العقيدة» ص ٤٥١ ـ ٤٦٣.

(١) عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ـ وذكر يعني رجلاً بين الرجلين ـ فأتيت بطشت من ذهب ملآن حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملىء حكمة وإيماناً، وأتيت بداية أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟: قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل مرحباً به ولِنعمَ المجيءُ جاء. فأتيت على آدم فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من ابن ونبي، فأتينا السماء الثانية. . . » الحديث.
رواه البخاري رقم (٣٢٠٧) في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة ورقم (٣٣٩٣ و ٣٤٣٠ و ٣٨٨٧)، مسلم رقم (١٦٢) في الإيمان: باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات.
انظر «شرح الطحاوية» ص ٢١٣ ـ ٢٢٠.

(٢) في الأصول: نقر، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر.

(٣) انظر «شرح الطحاوية» ص ٥٢٥ ـ ٥٣٤.

٦٢ ـ ونصدق بأن في الدنيا سِحْراً [وسَحَرَةً][1]، وأن السحر كائِنٌ موجود في الدنيا[2] و[3].

٦٣ ـ وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة بَرِّهِمْ وفَاجِرهم وتوارثهم [4].

٦٤ ـ ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان[5].

٦٥ ـ وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل.

٦٦ ـ وأن الأرزاق من قِبَل الله عز وجل يرزقها عباده حلالاً وحراماً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبَّطه خلافاً لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله عزّ وجل: ﴿الَّذِينَ يأكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُوْنَ إلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وكما قال: ﴿مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ﴾ [الناس: ٤ ـ ٦].

٦٧ ـ ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عزّ وجلّ بآيات ويظهرها عليهم.

٦٨ ـ وقولنا في أطفال المشركين: «إن الله تعالى يؤجج لهم في الآخرة ناراً، ثم يقول لهم اقتحموها» كما جاءت بذلك الرواية[6].

---

(١) ليست في نسخة ابن عساكر.

(٢) يؤثر السحر على النفس الإنسانية تأثيراً حقيقياً، أما قلب حقائق الأشياء لتحويل الحبال إلى أفاعي وغير ذلك فهو وهمي.

(٣) انظر «شرح الطحاوية» ص ٥٩٤ ـ ٦٠٧.

(٤) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤١٨ ـ ٤٢٤.

(٥) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٤٨٤ ـ ٤٩٩.

(٦) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «الفتح» ٣/٢٤٦ ـ ٢٥١.
واختلف العلماء قديماً وحديثاً في هذه المسألة على أقوال:
أحدها: أنهم في مشيئة الله تعالى، وهو منقول عن الحمادين وابن مبارك وإسحاق، ونقله البيهقي في =

٦٩ ـ وندين بأن الله عزَّ وجل يَعْلَم ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون، وما كان وما يكون، وما لا يكون وأَنْ لو كان كيف كان يكون[1].

٧٠ ـ وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين.

٧١ ـ ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ومجانبة أهل الأهواء.

وسَنَحْتَّجُ لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه مما لم نذكره باباً باباً وشيئاً

«الاعتقاد» عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة، قال ابن عبد البر؛ وهو مقتضى صنيع مالك وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار خاصة في المشيئة، والحجة فيه حديث «الله أعلم بما كانوا عاملين».

ثانيها: أنهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة، وأولاد الكفار في النار، وحكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً**﴾، ونعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة، وإنما دعا بذلك لما أوحى الله إليه ﴿**أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**﴾، وأما حديث أدهم من آبائهم أو منهم، فذلك ورد في حكم الحربي، وروى أحمد من حديث عائشة «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدان المسلمين قال: في الجنة، وعن أولاد المشركين، قال: في النار، فقلت: يا رسول الله لم يدركوا الأعمال، قال: ربك اعلم بما كانوا عاملين، لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار»، وهو حديث ضعيف جداً لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية وهو متروك.

ثالثها؛ أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار، لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيآت يدخلون بها النار.

رابعها: خدم أهل الجنة، وفيه حديث عن أنس ضعيف أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى، وللطبراني والبزار من حديث سمرة مرفوعاً «أولاد المشركين خدم أهل الجنة» وإسناده ضعيف.

خامسها: أنهم يصيرون تراباً، روى عن ثمامة بن أشرس.

سادسها: هم في النار حكاه عياض عن أحمد، وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يحفظ عن الإمام أصلاً.

سابعها: أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم النار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبي عذب، أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل، وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون، ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في «كتاب الاعتقاد» أنه المذهب الصحيح.

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ١٥٠ ـ ١٠٨ و ٢٤٧ ـ ٢٤٨ و ٢٧٦ ـ ٢٧٨.

شيئاً[1]، إن شاء الله تعالى.

* * *

(1) بعد ذلك قال الحافظ هبة الله بن عساكر رحمه الله تعالى: فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد: ما أوضحه وأبينه! واعترفوا بفضل هذا الإمام العالم الذي شرحه وبينه، وانظروا سهولة لفظه، فما أفصحه وأحسنه، وكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾ [الزمر: ١٨] وتبينوا فضل أبي الحسن، واعرفوا انصافه، واسمعوا وصفه لأحمد بالفضل واعترافه، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين، ولم تزل الحنابلة ببغداد من قديم الدهر على ممر الأوقات تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات، فمن تكلم منهم في الرد على مبتدع فبلسان الاشعرية يتكلم، ومن حقق في الأصول في مسألة فمنهم يتعلم. اهـ. التبين ص ١٦٣.

البَابُ الثالث
الكلام في اثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة(*)

٧١ ـ قال الله عز وجلّ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ**﴾ يعني مشرقة ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] يعني رائية، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها:

١ ـ إما أن يكون الله عز وجل عَنى نظر الاعتبار، كقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾ [الغاشية: ١٧].

٢ ـ أو يكون عنى نظر الانتظار كقوله تعالى: ﴿**مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾ [يس: ٤٩].

٣ ـ أو أن يكون عنى نظر التعطف كقوله تعالى ﴿**وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ٧٧].

٤ ـ أو يكون عنى نظر الرؤية.

فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى نظر التفكير والاعتبار، لأن الآخرة ليست بدار اعتبار.

ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار، لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه، فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب، فقالوا: انظر في هذا الأمر بقلبك، لم يكن معناه نظر العينين، ولذلك إذا ذكر

النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي بالقلب. وأيضاً فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة، لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة لهم «مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ»[1]، من العيش السليم والنعيم المقيم، وإذا كان هذا هكذا، لم يجز أن يكونوا منتظرين، لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أُتوا به مع خطوره ببالهم.

وإذا كان ذلك كذلك، فلا يجوز أن يتعطفوا[3] على خالقهم.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة، صح القسم الرابع من أقسام النظر. وهو أن معنى قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] أنها رائية ترى ربها عز وجل[2].

٧٢ ـ ومما يبطل قول المعتزلة: أن الله عز وجل أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرة﴾ نظر الانتظار، أنه قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَة﴾ وَنَظَرُ الانتظار لا يكون مقروناً بقوله «إلى» لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار إلى، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٤٩] لم يقل إلى، إذا كان معناه الانتظار. وقال عز وجل مخبراً عن بلقيس: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النحل: ٣٥] فلما أرادت الانتظار لم تقل إلي، وقال امرؤ القيس:

فَإِنَّكُمَا إِنْ تَنْظُرَانِي سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ رواه البخاري رقم (٣٢٤٤) في بدء الخلق: باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ورقم (٤٧٧٩ و ٤٧٨٠ و ٧٤٩٨)، ومسلم رقم (١٨٩) في الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة.

(٢) يسمى هذا الاستدلال: السبر والتقسيم.

فلما أراد الانتظار لم يقل: «إلى» فلما قال سبحانه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرؤية.

ولما قرن الله النظر بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه، كما قال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] فذكر الوجه، وإنما أراد تَقَلُّبَ عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة.

* * *

فإن قال قائل: لم لا تقولون: إن قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إنما أراد إلى ثواب ربها ناظرة؟

قيل له: ثواب الله عز وجل غيره تعالى، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ولم يقل: إلى غيره ناظرة، والقرآن العزيز على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة وإلّا فهو على ظاهره.

ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: صَلُّوا لي واعبدوني لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، ويزيل الكلام عن ظاهره، فلذلك لما قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة.

ثم يقال للمعتزلة: إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله عز وجل ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة، فَلِمْ لا جاز لغيركم أن يقول: إن قول الله عز وجل ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أراد بها لا تدرك غيره ولم يرد أنها لا تدركه؟ وهذا ما لا يقدرون على الفرق فيه.

٧٤ ـ ودليل آخر

ومما يدل على أن الله تعالى يرى بالأبصار قول موسى صلى الله عليه وسلم: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولا يجوز أن يكون موسى

صلوات الله عليه وسلامه الذي قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين، وعصمه بما عصم به المرسلين، قد سئل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى صلى الله عليه وسلم فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً، وأن الرؤية جائزةٌ على ربنا عزَّ وجلَّ.

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا تعالى كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى عليه الصلاة والسلام، وعلموا هم، لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى عليه الصلاة والسلام، وهذا ما لا يدَّعيه مسلم.

* * *

٧٥ ـ فإن قال قائل: ألستم تعلمون حكم الله في الظهار اليوم؟ ولم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك قبل أن ينزل؟

قيل له: لم يكن يعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم ذلك قبل أن يلزم الله العباد حكم الظهار، فلما لزمهم الحكم به أعلم نبيه قبلهم، ثم أعلم نبيُّ الله عبادَ الله ذلك، ولم يأت عليه وقته لزمه حكمه، فلم يعلمه عليه الصلاة والسلام.

وأنتم زعمتم أن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد لزمه أن يعلم حكم الرؤية، وأنها مستحيلة عليه، وإذا لم يعلم ذلك وقت أن لزمه علمه، وعلمتوه أنتم الآن، لزمكم بجهلكم، أنكم بما لزمكم العلم به الآن أعلم من موسى عليه الصلاة والسلام بما لزمه العلم به، وهذا خروج عن دين المسلمين.

* * *

٧٦ ـ ودليل آخر.

مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قول الله تعالى لموسى

صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فلما كان الله عز وجل قادراً على أن يجعل الجبل مستقراً، كان قادراً على الأمر الذي لو فعله لرآه موسى صلى الله عليه وسلم، فدل ذلك على أن الله تعالى قادر على أن يُرى عبادَه نفسَه، وأنه جائز رؤيته.

فإن قال قائل: فلم لا قلتم إن قولَ الله تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ تبعيد للرؤية؟ قيل له: لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه، ولم يقرنه بما يجوز وقوعه، فلما قرنه باستقرار الجبل، وذلك أمر مقدور لله سبحانه، دل ذلك على أنه جائز أن يُرى الله عز وجل.

ألا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعيد صُلْحِها لمن كان حرباً لأخيها قرنت الكلام بأمر مستحيل، فقالت[1]:

وَلَا أُصَالِحُ قَوْمَاً كُنْتَ حَرْبَهُمُ ... حَتَّى تَعُودَ بَيَاضاً حُلْكَةُ القَارِ

والله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها، تجده مفهوماً في كلامها، ومعقولاً في خطابها.

فلما قرن الله الرؤية بأمر مقدور جائز، علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة.

* * *

٧٧ ـ ودليل آخر

قال عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. قال

(١) ديوانها ص ٥٥ ـ ٥٦ من قصيدة مطلعها:

يا عين جودي بدمع منك مغزار ... وابكي لصخر بدمع منك مدرار

وبعده الشاهد لكن روايته في الديوان.

ولا أسالم قوماً كنت حربهم ... حتى تعود بياضاً جونة القار

أهل التأويل: النظر إلى الله عز وجل، ولم يُنْعِم الله عز وجل على أهل جنانه بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له.

وقال عز وجل ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قيل: النظر إلى الله عز وجل.

وقال: ﴿تَحِيَّتُهُم يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] وإذا لقيه المؤمنون رأوه.

وقال الله عز وجل ﴿كَلَّا إِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين.

* * *

٧٨ ـ سؤال

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾؟ [الأنعام: ١٠٣].

قيل له: يحتمل أن يكون: لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة، لأن رؤية الله تعالى أفضل اللذات، وأفضل اللذات يكون في أفضل الدارين.

ويحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ يعني لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين، وذلك أن كتاب الله يُصَدِّقُ بعضه بعضاً، فلما قال في آية: إن الوجوه تنظر إليه يوم القيامة وقال في آية أخرى: إن الأبصار لا تدركه علمنا أنه إنما أراد أبصار الكفار لا تدركه.

٧٩ ـ مسألة والجواب عليها

فإن قال قائل: قد استكبر الله سؤال السائلين له أن يُرى بالأبصار، فقال: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار

لنبوة موسى عليه الصلاة والسلام وترك الإيمان به حتى يروا الله، لأنهم قالوا: ﴿لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

فلما سألوه الرؤية عن طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه؛ استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتاباً من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلاً، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله [صلى الله عليه وسلم] حتى ينزل عليهم كتاباً من السماء.

٨٠ ـ دليل آخر

ومما يدل على اثبات رؤية الله عزَّ وجل بالأبصار ما روته الجماعات من الجهات المختلفات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لاَ تَضَارُوْنَ فِي رُؤْيَتِهِ»[1]. والرؤية إذا أطلقت إطلاقاً ومُثِّلتْ برؤية العيان، لم يكن معناها إلا رؤية العيان.

ورويت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق مختلفة، عدة رواتها أكثر من عدة خبر الرجم، ومن عدة من روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لاَ وَصِيَّةَ لِوارِثٍ»[2]. ومن عدة رواة المسح على الخفين، ومن عدة رواة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ تُنْكَحُ المَرْأَةُ عَلَىٰ عَمَّتِهَا وَلاَ عَلَىٰ خَالَتِهَا»[3]، وإذا كان الرجم وما ذكرناه سنناً عند المعتزلة،

---

(١) قطعة من حديث الشفاعة تقدم تخريجه ص (٤٠).

(٢) وهو حديث صحيح وقد جاء عن جماعة كثيرة من الصحابة منهم أبو أمامة الباهلي، وعمرو بن خارجة، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم رضي الله عنهم انظر «الارواء» رقم (١٦٥٥).

(٣) البخاري رقم (٥١٠٩ ـ ٥١١٠) في النكاح: باب لا تنكح المرأة على عمتها، ومسلم رقم (١٤٠٨) في النكاح: باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها في النكاح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كانت الرؤية أولى أن تكون سنة لكثرة رواتها ونقلتها، سنةً يرويها خلف عن سلف.

وحديث «أَنَّى أَرَاهُ»[1] لا حجة فيه، لأنه عندما سأل سائل النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤية الله عز وجل في الدنيا وقال له: هل رأيت ربك؟ فقال: «نُوْرٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ»؟ لأن العين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة على حقائقها، لأن الإنسان لو حدق بنظره إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصره، فإذا كان الله عز وجل حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس، فأحرى أن لا يَثْبُتَ البصر للنظر إلى الله عز وجل في الدنيا إلا أن يقويه الله عز وجل، فرؤية الله سبحانه في الدنيا قد اختلف فيها.

وقد روي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل تراه العيون في الآخرة، وما روي عن أحد منهم أن الله عزَّ وجل لا تراه العيون في الآخرة، فلما كانوا على هذا مجمعين وبه قائلين، وإن كانوا في رؤيته في الدنيا مختلفين[2]، ثبتت الرؤية في الآخرة إجماعاً، وإن كانت في الدنيا مختلفاً فيها، ونحن إنما قصدنا إلى إثبات رؤية الله في الآخرة.

على أن هذه الرواية على المعتزلة لا لهم، لأنهم ينكرون أن الله نور في الحقيقة. فإذا احتجوا بخبرٍ هم له تاركون، وعنه منحرفون، كانوا محجوجين[3].

٨١ ـ دليل آخر

(١) رواه مسلم رقم (١٧٨) في الإيمان: باب قوله عليه السلام: «نور أني أراه» والترمذي رقم (٣٢٧٨) في التفسير؛ باب ومن سورة النجم، وأحمد في «مسند» ١٤٧/٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر كلام الإمام ابن القيم ص (٦٩) الآتي.

(٣) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٦٧/٢:
ولم يأتنا نص جلي بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى بعينيه وهذه المسألة مما يسعُ المرء المسلم في دينه السكوت عنها، فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة، وأما رؤية الله عياناً في الآخرة، فأمر متيقن تواترت به النصوص، جمع أحاديثها الدار قطني والبيهقي وغيرهما.

ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار، أنه ليس موجود إلا وجائز أن يرينا الله عز وجل، وإنما لا يجوز أن يُرى المعدوم، **فلما كان الله عز وجل موجوداً مثبتاً كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عزَ وجلّ .**

وإنما أراد مَنْ نفى رؤية الله عز وجل بالأبصار التعطيل، فلما لم يمكنهم أن يُظهروا التعطيل صراحاً أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٨٢ ـ دليل آخر

ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار أن الله عز وجل يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائياً فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان لنفسه رائياً فجائز أن يرينا نفسه. وذلك أن من لا يعلم نفسه لا يعلم شيئاً، فلما كان الله عز وجل عالماً بالأشياء كان عالماً بنفسه، فلذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء، ولما كان الله عز وجل رائياً للأشياء كان رائياً لنفسه، وإذا كان رائياً لها فجائز أن يرينا نفسه، كما أنه لما كان عالماً بنفسه جاز أن يعلمناها، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] فأخبر أنه سمع كلامهما ورآهما.

ومن زعم أن الله عز وجل لا يجوز أن يُرى بالأبصار يلزمه أنْ لا يجوز أن يكون الله عز وجل رائياً، ولا عالماً، ولا قادراً، لأن العالم القادر الرائي جائز أن يُرَى.

٨٣ ـ مسألة

فإن قال قائل: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «تَرَوْنَ رَبَّكُم»[1] يعني تعلمون ربكم اضطراراً.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٠.

قيل له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه هذا على سبيل البشارة، فقال: فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُم الله عَزَّ وَجَلَّ[1]. ولا يجوز أن يبشرهم بأمر يَشْرَكهم فيه الكفارُ، على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ» وليس يعني رؤيةً دون رؤية بل ذلك عام في رؤية العين ورؤية القلب.

٨٤ ـ دليل آخر

إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ»[2] من العيش السليم والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله عز وجل بالأبصار، وأكثر من عَبَدَ الله عز وجلِ عبده للنظر إلى وجهه الكريم ـ أرانا الله إياه بفضله ـ، فإذا لم يكن بعد رؤية الله أفضل من رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم، وكانت رؤية نبي الله صلى الله عليه وسلم أفضل لذات الجنة، كانت رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم، وإذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصديقين النظرَ إلى وجهه عز وجل.

وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي لأن رؤية الرائي تقوم به، فإذا كان هذا هكذا، وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشبيهاً ولا انقلاباً عن حقيقة، ولم يستحل على الله عز وجل أن يُريَ عباده المؤمنين نفسه في جنانه.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه ص (٤٩) رقم (٤).

(٢) تقدم تخريجه ص (٥٩) رقم (١).

٨٥ ـ باب في الرؤية

احتجت المعتزلة أن الله عز وجل لا يُرى بالأبصار بقوله عَزَ وجلَ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقالوا: فلما عطف الله عزَّ وجل بقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ على قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾ وكان قوله: ﴿وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ على العموم أنه يدركها في الدنيا والآخرة وأنه يراها في الدنيا والآخرة كان قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ دليلاً على أنه لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة، وكان في عموم قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر.

قيل لهم: فيجب إذا كان عموم القولين واحداً، وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب، لأن الله عزَ وجلَ قال: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وقال: ﴿أُوْلي الأيْدِي والأَبْصارِ﴾ [ص: ٤٥] فأراد أبصار القلوب، وهي التي يفضل بها المؤمنون الكافرين.

ويقول أهل اللغة: فلان بصير بصناعته، يريدون بصر العلم، ويقولون: قد أبصرته بقلبي، كما يقولون قد أبصرته بعيني، فإذا كان البصر بصر العيون وبصر القلوب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الأخر، وجب عليهم بحجتهم أن الله عز وجل لا يُدرك بأبصار العيون ولا بأبصار القلوب، لأن قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ وإذا لم يكن عندهم هكذا، فقد وجب أن يكون قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ أخص من قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَار﴾ وانتقض احتجاجهم.

وقيل لهم: إنكم زعمتم أنه لو كان قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ خاصاً في وقت دون وقت لكان قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ خاصاً في وقت دون

وقت، وكان قولـه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقـوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقولـه: ﴿لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾ [يـونس: ٤٤] في وقت دون وقت، فـإن جعلتم قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ خاصاً رجع احتجاجكم عليكم. وقيـل لكم: إذا كان قـوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ خاصاً ولم يجب خصوص هذه الآيات، فلم أنكرتم أن يكون قوله عز وجـل: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ إنما أراد في الـدنيا دون الآخـرة، كما أن قـولـه: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ أراد بعض الأبصار دون بعض، ولا يـوجِبُ ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها.

فإن قالوا: قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ يوجب أنه لا يدرَكَ بها في الدنيا والآخرة، وليس ينفي ذلك أن نراه بقلوبنا ونبصره بها ولا ندركه بها.

قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون لا ندركه بأبصار العيـون، ولا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه ونبصره بها، فرؤيتنا له بالعيـون وإبصارنـا له بهـا ليس بـإدراك له بهـا، كما أن إبصـارنا لـه بالقلوب ورؤيتنـا له بهـا ليس بـإدراك لـه بها[1].

فإن قالوا: رؤية البصر هي إدراك البصر.

قيـل لهم: ما الفـرق بينكم وبين من قال: إن رؤيـة القلب وإبصاره هي إداركه وإحاطته، فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصـار القلب له ورؤيتـه إياه ليس بإحاطة ولا إدراك، فما أنكرتم أن تكون رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك.

* * *

(١) قـال ابن القيم رحمه الله تعـالى في «الـوابـل الصيب» ص ١٠٣ بتحقيقنـا طبعة دار البيـان بـدمشق: «فالرب تبارك وتعالى يُرى يوم القيـامة بـالأبصار عَيـاناً، ولكن يستحيـل إدراك الأبصار لـه وإن رأته، فالإدراك أمر وراء الرؤية، وهذه الشمس ـ ولله المثل الأعلى ـ نراها ولا ندركها كما هي عليه، ولا قريباً من ذلك، ولذلك قال ابن عباس لمن سأل عن الرؤية وأورد عليه ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ فقـال: ألست ترى السماء؟ قال؛ بلى، قال: أفتدركها؟ قال؛ لا، قال: فالله تعالى أعظم وأجل. ا هـ.

٨٦ ـ جواب

ويقال لهم: إذا كان قول الله عز وجل: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ في العموم كقوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر. فخبِّرونا أليست الأبصار والعيون لا تدركه رؤيةً ولا لمساً ولا ذوقاً ولا على وجه من الوجوه؟

فمن قولهم: نعم، فيقال لهم: أخبرونا عن قوله عز وجل ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ أتزعمون أنه يدركها لمساً وذوقاً بأن يلمسها. فمن قولهم: لا، فيقال لهم: فقد انتقض قولكم: إنَّ قوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ في العموم كقوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾.

* * *

٨٧ ـ مسألة

إن قال قائل منهم: إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب.

قيل له: ولم زعمت هذا. وقد سمى أهل اللغة بصر القلب بصراً، كما سموا بصر العين بصراً؟ وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين، وإذا لم يجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب.

* * *

٨٨ ـ جواب

ويقال لهم: حدِّثونا عن قول الله عز وجل: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارِ**﴾ ما معناه؟!

فإن قالوا: معنى يدرك الأبصار أنه يعلمها.

قيل لهم: وإذا كان أحد الكلامين معطوفاً على الآخر، وكان قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ معناه يعلمها، فقد وجب أن يكون قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ لا تعلمه، وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار.

فإن قالوا: معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ معناه يعلمها، فقد وجب أن يكون قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ أنه يراها رؤيةً ليس معناها العلم.

قيل لهم: فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى؟

فإن قالوا: نعم، نقضوا قولهم: إنا لا نرى بالبصر إلا من جنس ما نرى الساعة، فإن جاز أن يرى الله ما ليس من جنس المرئيات وهو الإبصار التي في العين، فلم لا يجوز أن يرى نفسه، وإن لم يكن من جنس المرئيات؟ ولم لا يجوز أن يرينا نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟

ويقال لهم: حدثونا إذا رأينا شيئاً فببصرنا نراه، أو إنما يراه الرائي دون البصر؟

فمن قولهم: إنه محال أن يرى البصر الذي في العين. فيقال لهم: الآية تنفي أن تراه الأبصار، ولا تنفي أن يراه المبصرون، وإنما قال الله عز وجل: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ فهذا لا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الأية.

* * *

البابُ الرَّابع
الكلام في أن القرآن كلام الله غير مخلوق(*)

٨٩ ـ إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قيل له: الدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿**ومن آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السماءُ والأرضُ بأمْرِهِ**﴾ [الروم: ٢٥] وأمر الله هو كلامه وقوله، فلما أمَرَهما بِالقِيامِ فقامتا لا تهويان؟ كان قيامهما بأمره.

وقال عزَ وجلَ ﴿**ألاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ**﴾ [الأعراف: ٥٤] فالخلق جميع ما خلق داخل فيه. لأن الكلام إذا كان لفظه لفظاً عاماً فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان. فلما قال: ﴿**ألا له الخَلْقُ**﴾ كان هذا في جميع الخلق، ولما قال: ﴿**والأَمْرُ**﴾ ذكر أمراً غيرَ جميع الخلق، فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى في كتابه: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوّاً للَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾ [البقرة: ٩٧].

قيل له: نحن نخص القرآن بالإجماع وبالدليل، فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكال إن كانا من الملائكة ثم ذكرهما بعد ذلك، كأنه قال: الملائكة إلا جبريل وميكال، ثم ذكرهما بعد ذكر الملائكة فقال: وجبريل وميكال، ولما قال: ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾، ولم يخص قوله ﴿**الْخَلْقُ**﴾ دليل، كان قوله: ﴿**أَلاَ لَهُ الخَلْقُ**﴾ في

(*) انظر «شرح الطحاوية»، ص ١٣٥ ـ ١٦٢.

جميع الخلق، ثم بعد ذكره الخلق والأمر، فأبانَ الأمرَ من الخلق، وأمرُ الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق.

وقال عز وجل: ﴿لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] يعني من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك، وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق.

* * *

٩٠ ـ دليل آخر

ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق، قوله عزٍ وجلٍ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نقولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾ [النحل: ٤٠] فلو كان القرآن مخلوقاً لوجب أن يكون مقولاً له: ﴿كُنْ فَيَكُونَ﴾، ولو كان الله عز وجل قائلاً للقول ﴿كُنْ﴾ لكان للقول قولاً، وهذا يوجب أحد أمرين:

إما أن يؤول الأمر إلى أن قول الله غير مخلوق.

أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية[1]، وذلك محال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولاً غير مخلوق.

* * *

٩١ ـ سؤال

فإن قال قائل: معنى قول الله ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾ إنما بكونه فيكون:

قيل: الظاهر أنْ يقول له، ولا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلها كوني هو الأشياء، لأن هذا يوجب أن تكون الأشياء كلها كلام الله عز وجل، ومن قال ذلك فقد أعظم الفِرية، لأنه يلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنسان وفرس وحمار وغير ذلك كلام الله، وفي هذا ما فيه.

---

(١) ويسمى التسلسل.

فلما استحال ذلك صح أن قول الله للأشياء كوني غيرها، وإذا كـان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عزّ وجلّ عن أن يكون مخلوقاً، ويلزم من يثبت كلام الله مخلوقاً أن يثبت [أن] الله غيـر متكلم ولا قائـل، وذلك فـاسد، كمـا يفسـد أن يكون علم الله مخلوقـاً وأن يكون الله غيـر عالم، فلمـا كان الله عـزّ وجلّ لم يزل عـالماً، إذ لم يجـز أن يكون لم يـزل بخلاف العلم مـوصوفـاً، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفاً، لأن خلاف الكلام الذي لا يكونُ معـه كـلامٌ سـكوتٌ أو آفة، كما أنَ خلاف العلم الـذي لا يكون معـه علم، جهـلٌ، أو شك، أو آفـة، ويستحيل أن يُـوصف ربنا عـزّ وجـلّ بخـلاف العلم، ولـذلك يستحيـل أن يوصف بخـلاف الكلام من السكـوت والآفـات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلماً، كما وجب أن يكون لم يزل عالماً.

* * *

٩٢ ـ دليل آخر

وقال الله عز وجل: ﴿**قُلْ لوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمـاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْـرُ قَبْـلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَـاتُ رَبِّي**﴾ [الكهف: ١٠٩] فلو كـانت البحـار مـداداً كتبت لنفدت البحار وتكسرت الأقلام، ولم يلحق الفناءُ كلماتِ ربي، كمـا لا يلحق الفناء علمَ الله عز وجل، ومن فني كلامه لحقته الآفات وجرى عليه السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا عزّ وجلّ صح أنه لم يزل متكلماً، لأنـه لو لم يكن متكلماً، [لـ] وجب [عليه] السكـوت والآفات، تعـالى ربنا عن قـول الجهمية علواً كبيراً.

* * *

٩٣ ـ فصل

وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى؛ لأن النصارى زعمت أن كلمة الله حـواها بـطن مريم، وزادت الجهميـة عليهم فزعمت أن كـلام الله مخلوق

حل في شجرة، وكانت الشجرة حاوية له، فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمةً، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كَلّم موسى صلى الله عليه وسلم، وأن الشجرة قالت: يا موسى إنَّني أَنَا الله لا إلَه إلا أنَا فاعبدني فلو كان كلام الله مخلوقاً في شجرة، لكان المخلوق قال: يا موسى: إنَّنِي أَنَا الله لا إله إلا أنا فَاعبدني وقد قال الله عز وجل ﴿**وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [السجدة: ١٣]. **وكلام الله من الله عز وجل، لا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقاً في شجرة مخلوقة، كما** لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقاً في غيره، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* * *

٩٤ ـ جواب

ويقال لهم: كما لا يجوز أن يخلق الله عز وجل إرادته في بعض المخلوقات، كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه في بعض المخلوقات، ولو كانت إرادة الله مخلوقةً في بعض المخلوقات، لكان ذلك المخلوق لله هو المريد لها، وذلك يستحيل.

وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه في مخلوق، لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به، ويستحيل أن يكون كلام الله عز وجل كلاماً للمخلوق.

* * *

٩٥ ـ دليل آخر

ومما يبطل قولهم أنّ الله عز وجل قال مخبراً عن المشركين أنهم قالوا: ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ البَشَرِ**﴾ [المدثر: ٢٥]، يعني القرآن، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر، وهذا ما أنكره الله على المشركين.

وأيضـاً فلو لـم يكن الله متكلمـاً حتى خلق الخلق ثم تكلم بعـد ذلـك، لكـانت الأشياء قـد كـانت لا عن أمـره، ولا عن قـولـه، ولم يكن قـائـلاً لهـا «كوني»، وهذا رد للقرآن وخـروج عما عليه جمهور أهل الإسلام.

* * *

٩٦ ـ فصل

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن قول الجهمية: إن كلام الله مخلوق، يلزمهم به أن يكون الله عز وجل لم يزل كالأصنـام التي لا تنطق ولا تتكلم لـو كان لم يزل غير متكلم، لأن الله عز وجل يخبر عن إبراهيم عليـه الصلاة والسـلام أنه قال لقومه لما قالوا لـه: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِـآلِهَتِنَا يَـا إِبْرَاهِيمُ * قَـالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذا فَاسْأَلُوهُمْ إن كَانُوا يَنْطِقُـونَ﴾ [الأنبياء: ٦٢ ـ ٦٣] فـاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لـم تكن ناطقة متكلمـة لم تكن آلهة، وأن الإلـه لا يكون غيـر ناطق ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيـل أن يحييها الله وينـطقها لا تكون آلهة، فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قدمـه إلهاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإذا لـم يجز أن يكون الله سبحانه في قـدمه بمـرتبة دون مـرتبة الأصنـام التي لا تنطق، فقد وجب أن يكون الله لـم يزل متكلماً.

* * *

٩٧ ـ دليل آخر

وقـد قال الله تعـالى مخبراً عن نفسـه أنّه يقـول: ﴿لِمَن الْمُلكُ اليَـومَ﴾ وجاءت الروايـة[١] أنه يقـول هذا القـول فلا يَـرُدُّ عليه أحـد شيئاً فيقـول: ﴿لله

(١) هو جزء من حديث الصور الـطويل الـذي رواه عبد بن حميـد، والطبـراني، وأبو يعلى والـطبراني في المطولات. والبيهقي في «البعث» من حديث أبي هريرة رضي الله عنـه، أن جميع الأحيـاء إذا ماتـوا بعد النفخة الأولى ولم يبق إلا الله عز وجل. قال الله سبحانه وتعالى: أنا الجبار، أنا الجبار، ثـلاثاً. ثم يهتف بصوته ﴿لمن الملك اليـوم﴾ ثلاث مـرات، فلا يجيبـه أحد، ثم يقـول لنفسه ﴿الله الـواحد =

﴿الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فإذا كـان عزّ وجـلّ قائـلاً مع فنـاء الأشياء إذ لا إنسان ولا ملك ولا حي ولا جان ولا شجر ولا مدر، فقد صح أن كلام الله عز وجل خارج عن الخلق، لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود. =

* * *

٩٨ ـ دليل آخر

وقـد قال الله عـزّ وجَـلّ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمَاً﴾ [النسـاء: ١٦٤] والتكليم هـو المشافهـة بالكـلام، ولا يجوز أن يكـون كلام المتكلم حـالاً في غيره، مخلوقاً في شيء سواه، كما لا يجوز ذلك في العلم.

* * *

٩٩ ـ دليل آخر

وقـال الله عز وجـل: ﴿قُلْ هُـوَ اللهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَـدُ * لَـمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] فكيف يكون القرآن مخلوقاً وأسماء الله في القرآن، هـذا يوجب أن تكـون أسماء الله مخلوقـة، ولو كـانت أسماؤه مخلوقة، لكانت وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه، وقدرتـه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* * *

١٠٠ ـ دليل آخر

وقـد قال الله تعـالى: ﴿تَبَـارَكَ اسْمُ رَبِّـكَ﴾ [الـرحمن: ٧٨] ولا يقـال للمخلوق: تبارك، فدل على أن أسماء الله غير مخلوقة، وقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْـهُ

= القهار﴾ وهو حديث ضعيف. وانظر «فتح الباري» ١١/٣٦٧ ـ ٣٧١ في الرقاق: بـاب نفخ الصـور، و «تفسير ابن كثير» ٢/١٤٦ و ١٤٩. وروى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث أبي هريـرة رضي الله عنه. قال: قـال رسول الله ﷺ «يقبض الله الأرض يـوم القيامـة، ويطوي السمـاء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض» وانظر الفتح ١٣/٣٦٧.

رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] فكما لا يجوز أن يكون وجه ربِّنا مخلوقاً، فكذلك لا يجوز أن تكون أسماؤه مخلوقة.

* * *

١٠١ ـ دليل آخر

وقد قال الله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة وسمعها من نفسه، لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات، أو بعد كون المخلوقات.

فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات، فلم تكن شهادة لنفسه بالألوهية قبل الخلق[1] وكيف يكون ذلك كذلك؟ وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده، وأن يكون واحداً قبل الخلق، لأن ما تستحيل الشهادة عليه مستحيل، وإن كانت شهادته لنفسه بالتوحيد قبل الخلق [مستحيلة]، فقد بطل أن يكون كلام الله عز وجل مخلوقاً لأن كلامه شهادته.

* * *

١٠٢ ـ دليل آخر

ومما يدل على بطلان قول الجهمية، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق: أن أسماء الله من القرآن، وقد قال عز وجل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الذي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١ ـ ٢] ولا يجوز أن يكون اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى مخلوقاً، كما لا يجوز أن يكون جَدُّ رَبِّنا مخلوقاً، قال الله

---

(١) في نسخة: فلم تسبق شهادته لنفسه بالإلهية الخلق.

تعالى في سورة الجن: ﴿وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣] وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً.

* * *

١٠٣ ـ دليل آخر

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيَاً أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوَحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١] فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء مخلوقٍ. لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى، لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه ـ بزعم الجهمية ـ مخلوقاً في غير الله عز وجل وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله وسلامه عليهم.

ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خَلَقَه في شجرة، أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من مَلَك أو نبي أتى به من عند الله، أفضل مرتبة من سماع الكلام من موسى، لأنهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل، وإنما سمعه من شجرة، وأن يزعموا أن اليهودي إذا سمع كلامَ الله من النبي عليه الصلاة والسلام أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم، لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله، وموسى سمعه مخلوقاً في شجرة، ولو كان مخلوقاً في شجرة لم يكن مُكَلِّماً لموسى من وراء حجاب، لأن مَنْ حضر الشجرة من الجن والأنس قد سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سبيل موسى وغيره في ذلك سواء في أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب.

* * *

١٠٤ ـ جواب

ثم يقال لهم: إذا زعمتم أن معنى أن الله عز وجل كَلّم موسى أنه خلق

كـلاماً كَلّمـه به، في الشجـرة، وقد خلق الله عنـدكم في الذراع كـلامـاً، لأن الـذراع قالت لـرسول الله صلى الله عليـه وسلم لَاتَأْكُلْنِي فَـإِنّي مَسْمُـومَـةٌ[1]. فلزمكم أن ذلك الكلام الـذي سمعه النبي صلى الله عليـه وسلم كلامُ الله عـز وجل، فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق فما أنكـرتم مِنْ أنه مستحيل أن يخلق الله عـز وجل كـلامه في شجـرة، لأن كلام المخلوق لا يكون كلاماً لله، فإن كان كلام لله، وكـان معنى أن الله تكلم عندكم أنـه خلق الكلام، فيلزمكم أن يكون الله متكلماً بالكلام الذي خلقه في الذراع.

فإن أجابوا إلى ذلك قيل لهم: فالله عز وجل على قولكم هو القـائل: لا تأكلني فإني مسمومة، تعالى الله عن قولكم وافترائكم عليه علواً كبيراً.

وإن قـالوا: لا يجـوز أن يكون كـلام الله مخلوقـاً في ذراع. قيـل لهم: وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في شجرة.

* * *

١٠٥ ـ مسألة

ثم يسألون عن الكـلام الذي أنـطق الله به الـذئب[2] لما أخبـر عن نبوة النبي صلى الله عليـه وسلم، فيقال لهم: إذا كـان الله عز وجـل يتكلم بكـلام يخلقه في غيره فما أنكرتم أن يكون الكلام الذي سمعه من الذئب كلامـاً لله، ويكـون إعجازه يـدل على أنه كـلام الله تعالى، وفي هـذا مـا يجب عليهم أن

---

(١) البخاري رقم (٢٦١٧) في الهبة٨ باب قبول الهدية من المشركين، ومسلم رقم (٢١٩٠) في السلام: باب السم، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) روى البخـاري رقم (٢٣٢٤) في الحرث والـزراعـة: بـاب استعمـال البقـر للحـراثـة، ورقم (٢٤٧١ و٣٦٦٣ و٣٦٩٠)، ومسلم رقم (٢٣٨٨) في فضائل الصحابة: بـاب من فضائـل أبي بكر الصـديق رضي الله عنه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقـالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحـراثة، قـال: آمنت به أنـا وأبو بكـر وعمر، وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي، فقال له الذئب: من لها يوم السَّبُعِ، يوم لا راعي لها غيري؟ قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر». قال أبو سلمة: وما هما يومئذ في القوم.

الـذئب لم يتكلم به وأنـه كـلام الله عـز وجـل، لأن كـون الكـلام من الـذئب معجز، كما أن كونه من الشجرة معجز، فإن كان الذئب متكلماً بذلك الكـلام المنقول، فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خُلِقَ في شجرة، وأن يكون المخلوق[1] قال: ﴿يَا مُوسى إني أنا اللَّهُ﴾ تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

* * *

١٠٦ ـ جواب

ثم يقال لهم: إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقاً في غيـره عندكم، فمـا يؤمنكم أن يكون كل كلام تسمعونه مخلوقاً في شيء، وهو حق أن يكون كلام الله عز وجل؟

فإن قالوا: لا تكون الشجرة متكلمة، لأن المتكلم لا يكون إلا حياً.

قيل لهم: ولا يجوز خَلْقُ الكلام في شجرة، لأن من خَلَقَ الكلام فيه لا يكـون إلا حياً، فـإن جاز أن يُخلَقَ الكـلامُ فيما ليس بحـيّ، فلم لا يجـوز أن يتكلم من ليس بحيّ؟

ويقال لهم: لم لا قلتم: إنه يقول من ليس بحي، لأنه عز وجل أخبر أن السموات والأرض ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

١٠٧ ـ مسألة

ثم يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل لإبليس ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَـوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٨] فـلا بد من نعم، ويقـال لهم: فـإذا كـان كـلام الله مخلوقـاً وكانت المخلوقـات فانيـات فيلزمكم إذا أفنى الله عز وجـل الأشياء أن تكون اللعنة على إبليس قد فنيت، فيكون إبليس غير ملعون، وهذا تَرْكٌ لـدين المسلمين، وردٌّ لقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

---

(١) في نسخة المخلوق فيه.

وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين ـ وهو يوم الجزاء، وهو يوم القيامة ـ لأن الله عز وجل قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة ٤] يعني يوم الجزاء، ثم هي أبداً في النار، واللعنة كلام الله، وهو قوله: ﴿عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ فقد وجب أن يكون كلام الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء، وأنه غير مخلوق، لأن المخلوقات يجوز عليها العدم، فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل، فهو غير مخلوق.

١٠٨ ـ الرد

ثم يقال لهم: إذا كان غضب الله غير مخلوق، وكذلك رضاه وسخطه، فلم لا قلتم: إن كلامه غير مخلوق؟ ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى حتى لا يكون راضياً عن أوليائه ولا ساخطاً على أعدائه، وهذا هو الخروج عن الإسلام.

* * *

١٠٩ ـ مسألة

ويقال: خبرونا عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] أتزعمون أن قوله للشيء: «كن» مخلوقٌ مراد لله [١]؟

فإن قالوا: لا قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذي هو القرآن غير مخلوق، كما زعمتم أن قول الله للشيء «كن» غير مخلوق.

وإن زعموا أن قول الله للشيء «كن» مخلوق. قيل لهم: فإن زعمتم أنه مخلوق مراد لله فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ

(١) مراد: ساقطة من نسخة.

كُنْ فَيَكُونَ﴾. فيلزمكم أن قوله تعالى للشيء «كن» قد قال له: «كن». وفي هذا ما يوجب أحد أمرين:

١ ـ إما أن يكون قول الله لغيره «كن» غير مخلوق.

٢ ـ أو يكون لكل قول قول لا إلى غاية، وذلك محال.

فإن قالوا: إن لله قولاً غير مخلوق. قيل لهم: فما أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة؟

ثم يقال لهم: ما العلة التي إنما قلتم: إن قول الله للشيء «كن» غير مخلوق؟

فإن قالوا: لأن القول لا يقال له «كن» فيقال لهم: والقرآن غير مخلوق، لأنه قول الله، والله لا يقول لقوله «كن».

* * *

١١٠ ـ الرد على الجهمية[١]

ويقال لهم: أليس لم يزل الله عالماً بأوليائه وأعدائه؟ فلا بد من نعم.

قيل لهم: فهل تقولون: إنه لم يزل مريداً للتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟

فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فإذا كانت إرادة الله لم تزل فهي غير مخلوقة، وإذا كانت إرادته غير مخلوقة فلم لا قلتم: إن كلامه غير مخلوق؟

فإن قالوا: لا نقول لم يزل مريداً للتفريق بين أوليائه وأعدائه، فقد زعموا أن الله عز وجل لا يريد التفرقة بين أوليائه وأعدائه، ونسبوه سبحانه إلى النقص، تعالى الله عن قول القدرية علواً كبيراً.

* * *

١١١ ـ جواب

ويقال لهم: إن الشيء المخلوق إما أن يكون بدناً من الأبدان شخصاً

---

(١) في نسخة مسألة على الجهمية.

من الأشخاص، أو يكون نعتاً من نعوت الأشخاص، فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصاً، لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح، ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل، ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتاً لشخص مخلوق لأن النعوت لا تبقى طرفة عين، لأنها لا تحتمل البقاء، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فني ومضى، فلما لم يجز أن يكون شخصاً ولا نعتاً لشخص، لم يجز أن يكون مخلوقاً.

على أن الأشخاص يجوز أن تموت، فمن يثبت كلام الله شخْصاً مخلوقاً لزمه أن يجوز الموت على كلام الله عزّ وجلّ، وذلك مما لا يجوز.

وأيضاً فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون نعتاً لشخص مخلوق، ولو كان مخلوقاً في شخص، وكلاماً الإنسان مفعولاً فيه، كما لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام المخلوق إذا كانا مخلوقين في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقاً في شخص مخلوق.

* * *

١١٢ ـ جواب

ويقال لهم أيضاً: لو كان كلام الله مخلوقاً لكان جسماً أو نعتاً لجسم، ولو كان جسماً لجاز أن يكون متكلماً، والله قادر على قلبهما، وفي هذا ما يلزمهم، ويجب عليهم أن يجوزوا أن يقلب الله القرآن إنساناً أو جنياً أو شيطاناً، تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك.

ولو كان نعتاً لجسم كالنعوت، فالله قادر أن يجعلها أجساماً[1]، فكان يجب على الجهمية أن يجوزوا أن يجعل الله القرآن جسماً متجسداً يأكل ويشرب، وأن يجعله إنساناً ويميته، وهذا ما لا يجوز على كلام الله، تعالى عن ذلك.

* * *

(١) في نسخة إنسانا.

البَابُ الخامسُ
ما ذكر من الرواية في القرآن

قال: أبو بكر: أتيت أنا والعباس بن عبد العظيم العنبري أبا عبد الله، فسأل العباس بن عبد العظيم أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ورضي عنه، فقال له: قومٌ ها هنا قد حدّثوا يقولون: القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق، هؤلاء أضر من الجهمية على الناس، ويلكم فإن لم تقولوا: ليس بمخلوق، فقولوا: مخلوق.

قال أبو عبد الله: هؤلاء قوم سوء.

فقال العباس: ما تقول يا أبا عبد الله!

فقال: الذي أعتقده وأذهب إليه، ولا أشك فيه، أنَّ القرآن غير مخلوق، ثم قال: سبحان الله ومن شكَ في هذا؟!

ثم تكلم أبو عبد الله مستعظماً للشك في ذلك، فقال: سبحان الله أفي هذا شك؟ قال الله تبارك وتعالى: **﴿أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾** [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى **﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإنْسَانَ﴾** [الرحمن: ١ - ٣] ففرق بين الإنسان وبين القرآن، فقال: عَلَّمَ، خلق، فجعل يعيدها، عَلَّمَ، خَلَقَ، أي فَرَّقَ بينهما.

قال أبو عبد الله: القرآن [من] علم الله، ألا تراه يقول: **﴿عَلَّمَ القُرآنَ﴾**.

والقـرآن فيه أسمـاء الله عز وجـل، أي شيء يقولـون؟ ألا يقولـون: إن أسماء الله غير مخلوقة، لم يزل الله قديراً عليماً عزيـزاً حكيماً سميعـاً بصيراً، لسنـا نشك أن أسمـاء عز وجـل غيـر مخلوقـة، لسنـا نشـك أن علم الله غيـر مخلوق، فـالقرآن من علم الله وفيـه أسماء الله، فـلا نشك أنـه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل، ولم يزل الله به متكلماً.

ثم قال: وأي كفر أكفر من هذا؟ أو أي كفر أشرُّ من هذا؟ إذا زعموا أن القـرآن مخلوق، فقـد زعمـوا أن أسمـاء الله مخلوقـة، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقـولون، إنمـا يقولـون القرآن مخلوق ويتهـاونون ويظنون أنه هين، ولا يدرون ما فيه وهو الكفر، وأنـا أكره أن أبـوح بهذا لكـل أحـد، وهم يسألـون، وأنـا أكـره الكـلام في هـذا، فبلغني أنهم يـدّعـون أني أمسك[1].

فقلت له: فمن قال: القرآن مخلوق، ولا يقول: إن أسمـاء الله مخلوقة ولا علمه، لم يزد على هذا، أقول: هو كافر؟

فقال: هكذا هو عندنا.

ثم قال أبو عبد الله: نحن لا نحتاج أن نشك في هذا القرآن عنـدنا فيه أسماء الله وهو من علم الله، فمن قال لنا: إنه مخلوق، فهو عندنا كافر.

---

(١) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١١/٤٣٢.
كان الإمام أحمد يَسُدُّ الكلام في هذا الباب، ولا يجوزه، وكذلك كان يبدع من يقول: لفظي بـالقرآن غير مخلوق، ويضلل من يقول: لفظي بالقرآن قديم، ويكفر من يقول: القـرآن مخلوق، بل يقـول: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وينهى عن الخوض في مسألة اللفظ، ولا ريب أن تلفظنا بالقـرآن من كسبنا، والقرآن الملفوظ المتلو كلام الله تعالى غير مخلوق، والتلاوة والتلفظ والكتابة والصوت به من أفعالنا، وهي مخلوقة، والله أعلم.

فجعلت أردِّدُ عليه، فقال لي العباس ـ وهو يسمع ـ: سبحان الله أما يكفيك دون هذا؟ فقال أبو عبد الله : بلى.

* * *

١١٤ ـ وذكر الحسن بن عبد الأول، قال: سمعت وكيعاً يقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو مرتد يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل.

* * *

١١٥ ـ وذكر محمد بن الصباح البزّار، قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت ابن المبارك يقول: إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية[1].

قال محمد: يقول: نخاف أن نكفر ولا نعلم.

* * *

١١٦ ـ وذكر هارون بن إسحاق الهمداني عن أبي نُعَيْم، عن سليمان بن عيسى القاري، عن سفيان الثوري، قال لي حماد بن أبي سليمان: بلِّغ أبا حنيفة المشرك أني منه بريء[2].

قال سليمان: ثم قال سفيان لأنه كان يقول القرآن مخلوق.

١١٧ ـ وذكر سفيان بن وكيع قال: سمعت عمر بن حماد بن أبي حنيفة، قال؛ أخبرني أبي قال: الكلام الذي استتاب منه[3] ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله: القرآن مخلوق، قال: فتاب منه وطاف به في الخلق، قال أبي: فقلت

---

(١) رواه أبو داود في «مسائله» قال: حدثنا الحسن بن الصباح، قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك، فذكره «عقائد السلف ص ١١٠ و الرد على الجهمية ٣٦٠».

(٢) أخرجه البخاري في «خلق الإفعال (عقائد السلف) ض ١١٧ من غير أن يسمي أبا حنيفة.

(٣) في الأصول: فيه.

له؛ كيف صرت إلى هذا، قال؛ خفت والله أن يقدم عليَّ فأعطيته التقية.

* * *

وذكر هارون بن إسحاق، قال: سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكر عن عمر بن عبيد الطنافسي؛ أن حماداً ـ يعني ابن أبي سليمان ـ بعث إلى أبي حنيفة: إني بريء مما تقول إلا أن تتوب، وكان عنده ابن أبي غنية، قال: فقال: أخْبَرني جارك أن أبا حنيفة دعاه إلى ما استتيب منه بعدما استتيب(1).

* * *

وذُكر عن أبي يوسف، قال: ناظرت أبا حنيفة شهرين حتى رجع عن خلق القرآن.

* * *

١٢٠ ـ وقال سليمان بن حرب: القرآن غير مخلوق، وأخذته من كتاب الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧] وكلام الله ونظره واحد يعني غير مخلوق.

* * *

١٢١ ـ وذكر الحسين بن عبد الأول، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن

---

(١) انظر الخبر السابق ١١٦.

انظر: «شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٦ و٢١٢ الاخيرة، وهو من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق.

ولعل الذي روَّج لهذا الكلام هو أن عمر بن حماد بن أبي حنيفة قد قال هذا القول، ونسبه إلى آبائه في عبارة عامة، فيروى أنه قال: القرآن مخلوق، وهو رأيي ورأي آبائي، لكن رده بشر بن الوليد وقال: أما رأيك فنعم وأما رأي آبائك فلا. ولقد كان المعتزلة الذين اعتنقوا هذا المذهب يروجون لذلك بأن ينحلوه رجالاً ذوي مكانة وعلم وفقه كأبي حنيفة انظر كتاب: «أبو حنيفة» لمحمد أبي زهرة ص ٢٠١ وما بعدها، «والرد على الجهمية» ص ٣٧٢، وشرح «العقيدة الطحاوية» ص ١٤٦ و٢٠١ و٢١٢ طبعة دار البيان بدمشق.

أبي يـزيد الهمـداني عن عمرو بن قيس المـلائي، عن عطيـة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قـال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «فَضْـلُ كَلَامِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَىٰ سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»(١).

فهذا يثبت أن القرآن كلام الله عز وجل. وما كان كلاماً لله لم يكن خلقاً لله. وقـد بيّن الله أن القرآن كـلامه بقـوله عـز وجل: ﴿حَتَّى يَسْمَـعَ كَلَامَ اللهِ﴾ [التوبة: ٦] ودل على ذلك في مواضع من كتابه العزيز، وقد قال الله عز وجل مخبراً أن الله كلم موسى تكليماً.

١٢٢ ـ وروى وكيـع عن الأعمش، عن خيثمـة، عن عـدي بن حـاتم، قـال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «مَـا مِنْكُمْ مِنْ أَحَـدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُـهُ رَبُّه، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»(٢).

١٢٣ ـ ومما يبين أن الله عز وجل متكلم، وأن له كلاماً، ما رواه عفان، قـال؛ حدثنـا حماد بن سلمـة: عن الأشعث الحُدَّاني عن شهـر بن حـوشب، قال: «فَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ على سَائِرِ الكَلَامَ كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ»(٣).

١٢٤ ـ وروى يعلى بن المنهـال السعدي، قال: ثنا اسحـاق بن سليمان الرازي، قال: ثنا الجراح بن الضحاك الكندي، عن علقمة بن مرثـد، عن أبي عبـد الـرحمن السلمي، عن عثمـان بن عـفـان رضي الله عنـه، قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَـهُ»(٤)

---

(١) الترمذي رقم (٢٩٢٧) في ثـواب القرآن: بـاب رقم ٢٥، والدارمي رقم (٣٣٥٩)، قـال الألبـاني في «تخريج المشكاة» رقم (٢١٣٦): اسناده ضعيف جـداً، وقال الـذهبي حسنة التـرمذي فلم يحسـن، اهـ. انظر «الفتح» ٩/٤٣٤ ـ ٤٣٥.

(٢) البخاري رقم (١٤١٣) في الزكـاة: باب الصـدقة بـل الرد، وفي كتب أخـرى، ومسلم رقم (١٠١٦) فيه: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.

(٣) رواه الـدارمي رقم (٣٣٦٠) في فضائـل القرآن بـاب فضل كـلام الله على سـائـر الكـلام فيـه ضعف وانقطاع انظر «لفتح» ٩/٦٦.

(٤) البخـاري رقم (٥٠٢٧) في فضـائـل القـرآن: بـاب خيـركم من تعلم القـرآن وعلمـه، وأبـو داود رقم =

وقال «إِنَّ فَضْلَ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ الله عَلَىٰ خَلْقِهِ»[1] وذلك أنه منه.

١٢٥ ـ وذكر سنيد بن داود، قال: حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ الآية [لقمان: ٢٧].

١٢٦ ـ وذكر هارون بن معروف، قال: حدثنا جرير بن منصور، عن هلال بن يساف، عن فروة بن نوفل، قال: كنت جاراً لخباب بن الأرت، فقال لي: يا هذا تقرب إلى الله عز وجل بما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه.

١٢٧ ـ وروي عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿قُرْآناً عَرَبِياً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] قال: غير مخلوق.

١٢٨ ـ روى الليث بن يحيى، قال: حدثني إبراهيم بن أبي الأشعث، قال: سمعت مؤمل بن إسماعيل يحدث عن الثوري، قال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر.

١٢٩ ـ وصحت الرواية عن جعفر بن محمد أن القرآن لا خالق ولا مخلوق . وروي ذلك عن عمه زيد بن علي وعن جده علي بن الحسين، رضي الله عنهم أجمعين.

١٣٠ ـ ومن قال: إن القرآن غير مخلوق وإن من قال بخلقه كافر من العلماء وحملة الأثار ونقلة الأخبار لا يحصون كثرة منهم الحمادان، والثوري،

= (١٤٥٢) في الصلاة: باب ثواب قراءة القرآن، والترمذي رقم (٢٩٠٩) في ثواب القرآن: باب ما جاء في تعليم القرآن، والدارمي رقم (٣٣٤١) في فضائل القرآن: باب خياركم من تعلم القرآن وعلمه، وابن ماجه رقم (٢١١) في المقدمة: باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، وأحمد في «المسند» ٤١٢/١ و٤١٣ و٥٠٠ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر «الأحاديث الصحيحة» للألباني رقم (١١٧٣).

(١) تقدم تخريجه ص ٨٩، رقم (١).

وعبد العزيز بن أبي سلمة، ومالك بن أنس، والشافعي وأصحابه، [وأبو حنيفة][1]، وأحمد بن حنبل، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وهشام، وعيسى بن يونس، وحفص بن غياث، وسعد بن عامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وأبو عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر بن المفضل، وعبد الله بن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يونس وأبو نعيم، وقبيصة بن عقبة، وسليمان بن داود، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويزيد بن هارون، وغيرهم.

ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام بذكرهم، وفيم ذكرنا من ذلك مقنع، والحمد لله رب العالمين[2].

١٣١ ـ وقد احتججنا الصحة قولنا: (إن القرآن غير مخلوق) من كتاب الله عز وجل، وما تضمنه من البرهان وأَوْضَحه من البيان، ولم نجد أحداً ممن تُحْمَل عنه الآثار، وتُنْقَل عنه الأخبار، ويأتم به المؤتمون من أهل العلم، يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاع الناس وجهَال من جُهَّالهم لا موقع لقولهم.

والحِجَاجُ الذي قدمناه في ذلك يأتي على كثير من قولهم ودفع باطلهم، والحمد لله على قوة الحق حمداً كثيراً.

* * *

---

(١) زيادة من إحدى النسخ.

(٢) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٢«٢٩٠.

ومذهب السلف وأئمة الدين أن القرآن العظيم المنزل كلام الله تعالى غير مخلوق، ومذهب المعتزلة أنه مخلوق، وأنه كلام الله تعالى على حد قولهم: عيسى كلمةُ الله، وناقة الله، أي إضافة ملك.

ومذهب داود وطائفة أنه كلام الله، وأنه محدث مع قولهم: بأنه غير مخلوق.

وقال آخرون من الحنابلة وغيرهم: هو كلام الله قديم غير محدث، ولا مخلوق وقالوا: إذا لم يكن مخلوقاً فهو قديم، وتوزعوا في هذا المعنى، وفي إطلاقه.

وقال آخرون: هو كلام الله مجازاً، وهو دال على القرآن القديم القائم بالنفس.

وهنا بحوث وجدال لا نخوض فيها أصلاً، والقول هو ما بدأنا به.

الباب السادس
الكلام على من وقف في القرآن وقال: لا أقول إنه مخلوق ولا أقول إنه غير مخلوق

١٣٢ ـ جواب

يقال لهم: لم زعمتم ذلك وقلتموه؟ فإن قالوا قلنا ذلك لأن الله لم يقل في كتابه: إنه مخلوق، ولا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجمع عليه المسلمون، ولم يقل في كتابه إنه غير مخلوق، ولا قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجمع عليه المسلمون، فوقفنا لذلك، ولم نقل إنه مخلوق ولا إنه غير مخلوق.

يقال لهم: فهل قال الله عز وجل لكم في كتابه قفوا فيه ولا تقولوا إنه غير مخلوق، و[هل] قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توقفوا عن أن تقولوا إنه غير مخلوق. وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق؟

فإن قالوا: نعم فقد بهُتوا.

وإن قالوا: لا، قيل لهم فلا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التي بها ألزمتم أنفسكم التوقف.

ثم يقال لهم: ولم أبيتم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق؟

فإن قالوا: لم نجده.

قيل لهم: ولم زعمتم أنكم إذا لم تجدوه في القرآن فليس موجوداً فيه؟ ثم إنا نوجدهم ذلك، ونتلوا عليهم الآيات التي احتججنا بها في كتابنا هذا، واستدللنا على أن القرآن غير مخلوق، كقوله عز وجل: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وكقوله ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾ [النحل: ٤٠] وكقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] وسائر ما احتججنا في ذلك من آي القرآن.

ويقال لهم: يلزمكم أن تتوقفوا في كل ما اختلف الناس فيه، ولا تقدموا في ذلك على قول. فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل، فلم لا قلتم إن القرآن غير مخلوق بالحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا قبل هذا الموضع[1]؟

١٣٣ ـ مسألة

فإن قال قائل: حدِّثونا، أتقولون إن كلام[2] الله في اللوح المحفوظ؟

قيل له: كذلك نقول لأن الله عز وجل، قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢] فالقرآن في اللوح المحفوظ.

وهو في صدور الذين أُوتوا العلم، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وهو متلوٌّ[3] بالألسنة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦].

---

(١) انظر هذه الحجج من الفقرة ٨٩ حتى الفقرة ١١٢.

(٢) في نسخة: كتاب:

(٣) في نسخة: يتلى.

والقـرآن مكتوب في مصـاحفنا في الحقيقـة؛ محفوظٌ في صـدورنـا في الحقيقـة ؛ متلوٌ بألسنتنـا في الحقيقة ؛ مسمـوعٌ لنا في الحقيقـة ؛ كمـا قـال عز وجل : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ [التوبة : ٦].

١٣٤ ـ مسألة

فإن قال: حدِّثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟

قيـل له: القـرآن يقرأ في الحقيقـة ويتلى، ولا[١] يجوز أن يقـال يلفظ به، لأن القـائل لا يجـوز له أن يقـول إنـه كـلام ملفـوظ بـه، لأن العـرب إذا قـال قائلهم: لفظت باللقمة من فيَّ معناه: رميت بها، وكـلام الله عز وجـل لا يقال يلفظ[٢] به، وإنما يقال: يقرأ ويتلى ويكتب ويحفظ.

وإنمـا قال قـوم: لفظنـا بالقـرآن ليُثبتوا أنـه مخلوق. ويزينـوا بـدعتهم. وقـولهم بخلقه، ويـدلسوا كفـرهم على من لم يقف على معناهم، فلمـا وقفنا على معناهم أنكرنـا قولهم، ولا يجـوز أن يقال: إن شيئـاً من القرآن مخلوق، لأن القرآن بكامله غير مخلوق[٣].

١٣٥ ـ مسألة

إن قال قائـل: أليس قد قـال الله تعالى: ﴿مَـا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْـرٍ مِّنْ رَبِّهِم مُّحَدَثٍ إلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].

قيل له: الـذكر الـذي عناه الله عـز وجل ليس هـو القرآن بـل هو كـلام الرسول صلى الله عليه وسلم ووعظه إياهم، وقد قال الله تعالى لنبيـه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَنْـزَلَ

(١) في نسخة: فلا.
(٢) في نسخة: ملفوظ.
(٣) قال أحد الأئمة رحمه الله: الصوت صوت القارىء، والكلام كلام الباريء.

الله إِلَيْكُمْ ذِكْـراً * رَسُـولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَـاتِ الله مُبَيِّنَـاتٍ. . .﴾. [الـطلاق: ١٠ ـ ١١] فسمى الرسول ذكراً، والرسول محدث.

وأيضاً فإن الله عز وجل قال: ﴿مَا يَـأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْـدَثٍ إلا اسْتَمَعُـوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبيـاء: ٢] يخبر أنـه لا يأتيهم ذكـر[1] محـدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل: لا يأتيهم ذكر[2] إلا كان محدثاً وإذا لم يقـل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثاً.

ولـو قال قـائل: مـا يـأتيهم رجـل من التميميين يـدعـوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه، لم يوجب هذا القول أنه لا يأتيهم رجل إلا كان تميميـاً فكذلـك القول[3] فيما سألونا عنه.

* * *

١٣٦ ـ مسألة

وإن سألونا عن قول الله عز وجل: ﴿قُرْآنَاً عَرَبِيَّاً﴾ [الزمر: ٢٨].

قيل لهم: الله عز وجل أنزله وليس مخلوقاً.

فـإن قالـوا: فقد قـال الله تعالى: ﴿وَأَنْـزَلْنا الحَـدِيدَ فِيـهِ بَأْسٌ شَـدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] والحديد مخلوق.

قيل لهم: الحديد جسم موات، وليس يجب إذا كـان القرآن منـزلاً، أن يكون جسماً مواتاً، ولـذلك لا يجب إذا كـان القرآن منـزلاً أن يكون مخلوقـاً، وإن كان الحديد مخلوقاً.

* * *

(١) في نسخة: ما يأتيهم من ذكر.
(٢) في نسخة: الحكم.
(٣) في نسخة: أنزل.

١٣٧ ـ جواب

ويقال لهم: قد أمرنا الله عز وجل أن نستعيذ به وهـو غير مخلوق، وأمـر أن نستعيـذ بكلمـات الله التـامـات[1]، وإذا لم نؤمـر أن نستعيـذ بمخلوق من المخلوقات، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق.

* * *

---

(١) روى مسلم (٢٧٠٨) في الذكر والدعاء: باب في التعوذ من سوء القضاء، والترمذي رقم (٣٤٣٣) في الدعوات: باب ما يقـول إذا نزل منـزلاً، وأمد في «المسنـد» ٦/٣٧٧ و٣٧٨ و ٤٠٩، والدارمي رقم (٢٦٨٣) في الاستئذان: باب ما يقول إذا نزل منزلاً من حـديث خولـة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها، ولفظه: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّـاتِ مِنْ شَرِّ مَـا خَلَقَ، لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

وهو قطعة من حديث آخـر من حديث أبي هـريرة رضي الله عنـه، لفظه: «جـاء رجل إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إما لقيت من عقرب لدغتي البارحة، قال: «أما لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرُّكَ».

رواه مسلم رقم (٢٧٠٩) وأبـو داود رقم (٣٨٩٨) والترمـذي رقم (٣٦٠٠) وابن ماجـة (٣٦٨) وأحمد في «المسند» ٢/٢٩٠ و ٢٧٥ و«الموطأ» ٢/٩٥١.

الباب السابع
ذكر الاستواء على العرش[1]

١٣٨ ـ إن قال قائل: ما تقولون في الأستواء؟

قيل له: نقول إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواءً: يليق به من غير طول الاستقرار، كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقد قال الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] فكذب [فرعونُ نبيَّ الله] موسى عليه الصلاة والسلام في قوله إن الله عز وجل فوق السموات. وقال عز وجل: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]. فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات، قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماءٌ، فالعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ـ يعني جميع السموات ـ وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً، وأنه فيهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله عز وجل مستو على العرش

---

(١) انظر في موضوع الصفات: «الأسماء والصفات» للبيهقي، و «التوحيد وصفات الربّ» لإمام الأئمة ابن خزيمة، و «العلو العلي الغفار» للذهبي.

الذي هو فوق السموات فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

١٣٩ ـ فصل

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ـ إن قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أنه استولى وملك وقهر[١]، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه ـ كما قال أهل الحق ـ وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء، والأرض لله[٢] سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو عز وجل مستوٍ على الأشياء كلها، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار، لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معناه استواءً يختص العرش دون الأشياء كلها[٣].

---

(١) في نسخة: أنه استوى، أي ملك وقهر.

(٢) في نسخة: والله، وفي أخرى فالله.

(٣) قد استوى بشر على العراق — من غير سيف ودم مهراق

البيت للأخطل يمدح بشر بن مروان.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٩/٢٦٢.

«وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاؤه عليه، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً، فإنه إنما يقال: استولى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه كاستيلاء بشر على العراق، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً حتى يقال استولى عليه أو معنى الاستواء الاستيلاء، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية حتى أواهم الإفلاس عن الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله أعلم».

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان. فلزمم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

١٤٠ ـ جواب

ويقال لهم إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره، كما قال ذلك أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الأخبار، وكان الله عز وجل في كل مكان، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت والأشياء فوقه، وإنه فوق الفوق والأشياء تحته، وفي هذا ما يوجب أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته، وهذا هو المحال المتناقض، تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيراً.

دليل آخر

ومما يؤكد أن الله عزّ وجل مستوٍ على عرشه دون الأشياء كلها، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٤١ ـ روى عفان قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا عمرو بن دينار، عن نافع بن جبير، عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَنْزِلُ رَبَنَا عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، حَتَّىٰ يَطْلِعَ الفَجْرُ»(١).

---

(١) قال الألباني في «الإرواء» رقم (٤٥٠): أخرجه الدارمي، وابن ماجه (١٣٦٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٧) وأحمد (٤/١٦) والآجري في «الشريعة» (٣١٠ و ٣١١)، وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ١٠ هـ.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١١/٣٧٦.

هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول، قد صحت بها النصوص ونقلها الخلق عن السلف، ولم يتعرضوا لها بردٍ ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع إتفاقهم على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله ليس كمثله شيء، ولا ينبغي المناظرة ولا التنازع فيها، فإن في ذلك محاولة للرد على الله ورسوله، أو حوماً على التكييف أو التعطيل.

١٤٢ ـ وروى عبد الله بن بكر، قال: حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي جعفر، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذي يَسْتَكْشِفُ الضَّرَّ فَأَكْشِفَهُ عَنْهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ».

١٤٣ ـ وروى عن عبد الله بن بكر السهمي، قال: حدثنا هشام بن أبي عبد الله، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، قال: حدثنا عطاء بن يسار، أن رفاعة الجهني حدثه، قال: فكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كنا بالكديد ـ أو قال بقديد ـ حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ ـ أَوْ قَالَ ثُلُثَا اللَّيْلِ ـ نَزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرْنِي أَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِهِ، حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الفَجْرُ».

١٤٤ ـ دليل آخر

قال الله عز وجل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَىٰ السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْش الرَّحْمٰنُ فَاسْأَل بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّنْ دُونِهِ من وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤] فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستوٍ على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أن الله تعالى منفرد بوحدانيته مستوٍ على عرشه استواءً منزهاً عن الحلول والاتحاد[١].

١٤٥ـ دليل آخر

وقال عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]

---

(١) انظر «شرح حديث النزول» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، و«العلو العلي الغفار» للذهبي.

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ والمَلائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقال: ﴿ثُمَّ دَنَىٰ فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَاأَوْحَىٰ * مَا كَذبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ٨ ـ ١٨].

وقال عز وجل لعيسى بن مريم عليه السلام: ﴿إني مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَاً * بَلْ رَّفَعَهُ الله إلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨] وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى إلى السماء.

ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً إذا هم رغبوا إلى الله عز وجل في الأمر النازل بهم يقولون جميعاً: يا ساكن السماء، ومن حلفهم جميعاً: لا والذي احتجب بسبع سماوات.

١٤٦ ـ دليل آخر

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ الله إلا وَحْياً أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١] وقد خصت الآية البشرَ دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم كان أبعد من الشبهة، وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول: ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً، فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول: ما كان لجنس من الأجناس أن أكلمه إلا وحياً أو من وراء حجاب أو أرسل رسولاً ترك أجناساً لم يعمهم بالآية، فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم.

(١) في نسخة: العرش.

١٤٧ ـ دليل آخر

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَىٰ اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢] وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] وقال عز وجل: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨]. كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه، ولا خَلْقُه فيه، وأنه مستوٍ على عرشه بلا كيف ولا استقرار، وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم تدل على النفي، يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه؟ فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل.

١٤٨ ـ دليل آخر

قالَ الله عز وجل: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] فسمَىٰ نفسه نوراً، والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين، إما أن يكون نوراً يسمع أو نوراً يرى، فمن زعم أن الله يسمع ولا يرى فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه، وتكذيبه بكتابه، وقول نبيه صلى الله عليه وسلم.

وروت العلماء عن عبد الله بن عباس أنه قال: «تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله، فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك»[1].

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٤٢٠ من طريق عاصم بن علي: ثنا أبي عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا عليه. وهذا إسناد ضعيف، عطاء كان قد اختلط، وعاصم بن علي وأبوه فيهما ضعف وابنه خير منه، انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (١٧٨٨).

ويغني عنه حديث عبد الله بن سلام مرفوعاً: «لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله...» وهو حديث حسن في شواهد.

١٤٩ ـ دليل آخر

وروت العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن عمله»[(١)].

وروت العلماء أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة سوداء فقال: يا رسول الله! إني أريد أن أعتقها في كفَّارة فهل يجوز عتقها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «فمن أنا»؟ قالت: أنت رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اعتقها فإنها مؤمنة»[(٢)] وهذا يدل على أن الله عز وجل على عرشه فوق السماء، فوقية لا تزيده قرباً من العرش[(٣)].

* * *

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤١٩) باب رقم١، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال، والخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم» رقم (١)، وفي الباب عن ابن مسعود عند الترمذي رقم (٢٤١٨)، وعن معاذ عند الخطيب رقم (٢)، وعن أبي سعيد عند البيهقي في كتاب «البعث والنشور». قال الألباني: وأخرجه الدارمي. انظر «اقتضاء العلم العمل» ص ١٥٩ ـ ١٦٠، و«صحيح الجامع» رقم (٧١٧٦ ـ ٧١٧٧). من حديث أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي رضي الله عنه، ولفظه: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».

(٢) رواه مسلم رقم (٥٣٧) في الصلاة: باب تحريم الكلام في الصلاة، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ماكَهَرَني ولا ضربني ولا شتمني ـ قال: «إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله! إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام وإنّ منّا رجالاً يأتون الكهان قال: «فلا تأتهم»، قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم، قال: قلت: ومنا رجال يخطون، قال: كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك، قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية، اطلعت ذات يوم، فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال ائتني بها، فأتيته بها فقال لها: أين الله . . . »الحديث.

(٣) قوله: فوقية لا تزيده قرباً من العرش، ساقطة من بعض النسخ.

الباب الثامن
الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

١٥٠ ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فأخبر أن له سبحانه وجهاً لا يفنى، ولا يلحقه الهلاك .

وقال عز وجل: ﴿تجري بِأَعْيُننا﴾ [القمر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَاصنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، فأخبر عز وجل أن له وجهاً وعيناً لا يُكَيَّفُ ولا يُحدُّ.

وقال عز وجل: ﴿وَاصبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الله سَمِيعَاً بَصِيراً﴾ [النساء: ١٣٤] وقال لموسى وهارون عليهما أفضل الصلاة والسلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، فأخبر عن سمعه وبصره ورؤيته.

١٥١ ـ فصل

ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، ووافقوا النصارى، لأن النصارى لم تثبت الله سميعاً بصيراً إلا على معنى أنه عالم، وكذلك قالت الجهمية، ففي حقيقة قولهم أنهم قالوا: نقول إن الله عالم ولا نقول سميع بصير على غير معنى عالم، وكذلك قول النصارى.

١٥٢ ـ فصل

وقالت الجهمية: إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر، وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله عز وجل، فأعطوا ذلك لَفْظَاً ولم يحصلوا قولاً في المعنى، ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم.

١٥٣ ـ فصل

وزعم شيخ منهم[1] مقدَّم فيهم أن علم الله هو الله، وأن الله عز وجل علم، فنفى العلم من حيث أوْهَم أنه أثبته فألزم أن يقول: يا علم اغفْر لي، إذ كان علم الله عنده هو الله، وكان الله على قياسه علماً وقدرة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* * *

قال الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله ورضي عنه: بالله نستهدي، وإياه نستكفي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو المستعان، أما بعد:

١٥٤ ـ مسألة

فمن سألنا فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجهاً؟

قيل له: نقول ذلك خلافاً لما يقوله المبتدعون، وقد دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

---

(١) في نسخة: شيخ منهم نحس.

١٥٥ - مسألة

فإن[1] سئلنا أتقولون أن لله يَدَيْنِ؟

قيل: نقول ذلك بلا كيف، وقد دل عليه قوله عز وجل: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ بِيَدِهِ، فَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ»[2]. فثبت أن له يَدَيْنِ بلا كيف.

وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ شَجَرَةَ طُوْبَى بِيَدِهِ» وقال عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[3]. وقال عز وجل: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل

---

(١) في نسخ: قد، وفي أخرى: سألونا.

(٢) رواه أحمد في «المسند» ٤٤٨ ـ ٤٥، وأبو داود رقم (٤٧٠٣) في السنة: باب في القدر، والترمذي رقم (٣٠٧٧) في التفسير: باب ومن سورة الأعراف ومالك في «الموطأ» ٢/٨٩٨ ـ ٨٩٩ في القدر: باب النهي عن القول بالقدر، والطبري رقم (١٥٣٥٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصححه ابن حبان في «صحيحه» رقم (١٨٠٤)، والحاكم ٢/٣٢٤ ـ ٣٢٥ ووافقه الذهبي وقال الترمذي: حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلاً. وهو حديث صحيح بشواهده.

ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل! إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال النار فيدخل به النار».

(٣) رواه مسلم رقم (١٨٢٧) في الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ولفظه: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا ﴿بِيَدِيَّ﴾، ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل: فعلتُ (بِيَدِي)، ويعني النعمة، فبطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة.

وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يد بمعنى: لي عليه نعمة، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة، إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها، لأنه إن رجع في تفسير قول الله عز وجل يدي نعمتي إلى الإجماع، فليس المسلمون على ما ادعى متفقين.

وإن رجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: بيدي - يعني نعمتي - وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد إليه سبيلاً.

١٥٦ - سؤال

ويقال لأهل البدع: لم زعمتم أن معنى قوله تعالى: (بِيَدِي) نعمتي، أزعمتم ذلك إجماعاً أو لغة؟ فلا يجدون ذلك في الاجماع ولا في اللغة.

وإن قالوا: قلنا ذلك من القياس.

قيل لهم: ومن أين وجدتم في القياس أن قول الله تعالى ﴿بِيَدِيَّ﴾. ولا يكون معناه إلا نعمتي؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن يفسر كذا وكذا، مع أنَّا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه العزيز الناطق على لسان نبيه الصادق: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] وقال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿إنا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [الزخرف: ٣] وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ

﴿يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: ٢٤] ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره، ولا أن نعرف معانيه إذا سمعناه، فلما كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسنه، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه، علم أنهم علموه لأنه بلسانهم نزل، وليس في لسانهم ما ادعوه.

١٥٧ ـ مسألة

وقد اعتل معتل بقول الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] قالوا: الأيدي القوة، فوجب أن يكون معنى قوله ﴿بِيدي﴾ بقدرتي.

قيل لهم: هذا التأويل فاسد من وجوه أحدها أن الأيدي ليس بجمع لليد، لأن جمع يد التي هي نعمة أيادي، وإنما قال تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾فبطل بذلك أن يكون معنى قوله ﴿بِيَدَيَّ﴾ معنى قوله:﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ وأيضاً فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتي، وهذا ناقض لقول مخالفنا، وكاسر لمذهبهم لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة، فكيف يثبتون قدرتين.

وأيضاً فلو كان الله عز وجل عنى بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك من مزية، والله عز وجل أراد أن يرى[1] فضل آدم عليه السلام عليه إذ خلقه بيده دونه، ولو كان خالقاً لإبليس بيديه كما خلق آدم عليه السلام بيديه لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجاً على ربه فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم عليه السلام بهما، فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك قال له موبِّخاً على استكباره على آدم أن يسجد له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ؟﴾ [ص: ٧٥] دل على أنه ليس معنى الآية القدرة إذا كان الله عز وجل خلق

---

(١) فاعل يرى هو إبليس لعنه الله.

الأشياء جميعاً بقدرته، وإنما أراد إثبات يَدَيْنِ ولم يشارك إبليس آدم عليه السلام في أن خُلِقَ بهما.

١٥٨ ـ فصل

وليس يخلو قوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أن يكون معنى ذلك: إثبات يدين نعمتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين ولا يوصفان إلا كما وصف الله عز وجل، فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين، لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: عملت[1] بيدي وهو يعني نعمتي، ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن يعني قدرتين، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع، وهو أن معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين لا يوصفان إلا بأن يقال: إنهما يدان ليستا كالأيدي خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت.

١٥٩ ـ مسألة

وأيضاً فلو كان معنى قوله عزوجل: ﴿بِيَدَيَّ﴾ نعمتي لكان لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك على مذهب مخالفينا، لأن الله عز وجل قد ابتدأ إبليس على قولهم كما ابتدأ آدم عليه السلام، وليس تخلو النعمتان أن يكونا عني بهما بدن آدم عليه السلام أو يكونا عرضين خلقا في بدن آدم عليه السلام، فلو كان عني بدن آدم فالأبدان عند مخالفينا من المعتزلة جنس واحد، وإذا كانت الأبدان عندهم جنساً واحداً فقد حصل في جسد إبليس على مذهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم عليه السلام، وكذلك إن عني

---

(١) في بعض النسخ: حملت.

عرضين فليس من عرض فَعَلَهُ في بدن آدم عليه السلام من لون أو حياة أو قوة أو غير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن إبليس، وهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك، وإنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم عليه السلام في ذلك فضيلة. فدل ما قلناه على أن الله عز وجل لما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لم يعن نعمتي.

١٦٠ ـ مسألة

ويقال لهم: لم أنكرتم أن يكون الله عز وجل عنى بقوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ يَدَيْنِ ليستا نعمتين؟

فإن قالوا: لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم: ولم قضيتم[1] أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟ فإن [أ] رجعونا إلى شاهدنا وإلى ما نجده فيما بيننا من الخلق، فقالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم: إن حملتم على الشاهد وقضيتم به على الله عز وجل، فكذلك لم نجد حياً من الخلق إلا جسماً لحماً ودماً فاقضوا بذلك على الله عز وجل ـ تعالى عن ذلك ـ وإلا كنتم لقولكم تاركين ولاعتلالكم ناقضين، وإن أثبتم حياً لا كالأحياء منا، فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله عز وجل عنهما يدين ليستا نعمتين، ولا جارحتين، ولا كالأيدي؟

وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبِّراً حكيماً إلا إنساناً، ثم أثبتم أن للدنيا مدبراً حكيماً ليس كالإنسان، وخالفتم الشاهد ونقضتم اعتلالكم، فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد.

---

(١) في نسخة: قلتم.

١٦١ ـ مسألة

فإن قالوا: إذا أثبتم لله يدين لقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فلم لا أثبتم له أيدي لقوله: ﴿مِمَا عَمِلَتْ أَيْدِينا﴾ [يس: ٧١].

قيل لهم: قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدي، فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك وجب أن يكون الله عز وجل ذكر أيدي، ورجع إلى اثبات يَدَيْنِ، لأن الدليل قد دل على صحته الإجماع[1]، وإذا كان الإجماع صحيحاً وجب أن يرجع من قوله: ﴿أَيْدٍ﴾ إلى يَدَيْنِ، لأن القرآن على ظاهره، ولا يزول عن ظاهره إلا بحجة، فوجدنا حجة أزلنا بها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر آخر، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقة لا يزول عنها إلا بحجة.

١٦٢ ـ مسألة

فإن قال قائل: إذا ذكر الله عز وجل الأيدي وأراد يَدَيْنِ فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يداً واحدة.

قيل له: ذكر الله عز وجل أيدٍ وأراد يَدَيْنِ، لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال: أيدٍ كثيرة، وقول من قال: يداً واحدة، فقلنا: يدان، لأن القرآن على ظاهره، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر.

١٦٣ ـ مسألة

فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون قوله: ﴿مِمَا عَمِلَتْ أَيْدِينا﴾ [يس: ٧١] وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على المجاز.

---

(١) قلت: أيدَ جمع، وأقل الجمع اثنان. انظر ما قيل في آية الميراث: **﴿وإن كانتا فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك﴾** في تفسير القرطبي.

قيل له: حُكْمُ كلامِ الله عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يُخْرَج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة، ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم، فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص، فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة، كذلك قول الله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على ظاهره وحقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة، ولو جاز ذلك لجاز لمدعٍّ أن يدعي أن ما ظاهره العموم، فهو على الخصوص، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان، لم يجز لكم ما ادعيتموه أنه مجاز بغير حجة، بل واجب أن يكون قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ إثبات يَدَيْنِ لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين، إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: فعلت بيدي وهو يعني النعمتين[1].

* * *

---

(١) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٦٢/٨.
قد صنف أبو عبيد كتاب «غريب الحديث» وما تعرض لأخبار الصفات الإلهية بتأويل أبداً، ولا فسر منها شيئاً، وقد أخبر بأنه ما لحق أحداً يفسرها، فلو كان والله تفسيرها سائغاً، أو حتماً، لأوشك أن يكون اهتمامهم بذلك فوق اهتمامهم بأحاديث الفروع والآداب. فلما لم يتعرضوا لها بتأويل، وأقروها على ما وردت عليه، علم أن ذلك هو الحق الذي لا خيرة عنه.

الباب التاسع
الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته[1]

١٦٤ ـ قال الله عز وجل: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ من أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١] وذكر العلم في خمسة مواضع من كتابه العزيز وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾ [هود: ١٤] وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وذكر القوة فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وقال تعالى: ﴿ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] وقال تعالى: ﴿والسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

١٦٥ ـ فصل

وزعمت الجهمية أن الله عز وجل لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر[2]، وأرادوا أن ينفوا أن الله تعالى عالم قادر حي سميع بصير، فمنعهم خوف السيف من إظهارهم[3] نفي ذلك، فأتوا بمعناه، لأنهم إذا قالوا: لا علم لله ولا قدرة له، فقد قالوا: إنه ليس بعالم ولا قادر، وجب ذلك عليهم، وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل، لأن الزنادقة قد قال كثير

(١) انظر شرح «الطحاوية» ص ٩٨ ـ ١٠٠ و ٢٧٩ ـ ٢٧٨.

(٢) في نسخة: ولا بصر له.

(٣) في نسخة: من إظهار.

منهم: إن الله تعالى ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير، فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك، فأتت بمعناه، وقالت: إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر.

١٦٦ - فصل

وقد قال رئيس من رؤسائهم - وهو أبو الهذيل العلاف - إن علم الله هو الله، فجعل الله عز وجل علماً.

وأُلزِمَ، فقيل له: إذا قلت: إن علم الله هو الله فقل: يا علم الله اغفر لي وارحمني، فأبى ذلك، فلزمه المناقضة.

واعلموا رحمكم الله أن من قال: عالم ولا علم كان مناقضاً، كما أن من قال علم[1] ولا عالم كان مناقضاً، وكذلك القول في القدرة، والقادر، والحياة، والحي، والسمع، والبصر، والسميع، والبصير.

١٦٧ - جواب

ويقال لهم: خبرونا عمن[2]زعم أن الله متكلم قائلٌ آمرٌ ناهٍ لا قول له ولا كلام، ولا أمر له ولا نهي، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟

فلا بد من نعم، فيقال لهم فكذلك من قال: إن الله عالم ولا علم له كان ذلك مناقضاً خارجاً عن جملة المسلمين.

وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علماً لم يزل، وقد قالوا: علم الله لم يزل، وعلم الله سابق في الأشياء،

---

(١) في نسخة: علم الله.

(٢) في نسخة: أن من

ولا يمنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث، ونازلة تنزل: كل هذا سابق في علم الله، فمن جحد أن لله علماً، فقد خالف المسلمين، وخرج عن اتفاقهم.

١٦٨ ـ جواب

ويقال لهم: إذا كان الله مريداً أفله إرادة؟

فإن قالوا: لا؛ قيل لهم: فإذا أثبتم مريداً لا إرادة له، فأثبتوا قائلاً لا قول له، وإن أثبتوا الإرادة قيل لهم: فإذا كان المريد لا يكون مريداً إلا بإرادة فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالماً إلا بعلم، وأن يكون لله علم كما أثبتم له إرادة.

١٦٩ ـ مسألة

وقد فرقوا بين العلم والكلام، فقالوا: إن الله عز وجل علم موسى وفرعون، وكَلَّم موسى ولم يُكَلِّم فرعون، فكذلك يقال: عَلَّمَ موسى الحكمة وفصل الخطاب، وآتاه النبوة، ولم يُعلِّم ذلك فرعون، فإن كان لله كلام لأنه كَلَّم موسى ولم يكلم فرعون، فكذلك لله علم، لأنه عَلَّمَ موسى، ولم يعلِّم فرعون.

ثم يقال لهم: إذا وجب أن لله كلاماً به كَلَّم موسى دون فرعون إذ كَلَّم موسى دونه، فما أنكرتم إذا علمهما جميعاً أن يكون له عِلْمٌ بِهِ عَلَمَهُمَا جميعاً.

ثم يقال: قد كَلَّم الله الأشياء بأن قال لها. كوني، وقد أثبتم لله قولاً، فكذلك إن عَلِمَ الأشياء كلها، فله علم.

١٧٠ ـ جواب

ثم يقال لهم: إذا أوجبتم أن لله كلاماً وليس له علم، لأن الكلام أخص

من العلم والعلم أعم منه، فقولوا: إن لله قدرة، لأن العلم أعم عندكم من القدرة، لأن من مذاهب القدرية أنهم لا يقولون إن الله يقـدر أن يخلق الكفر، فقد أثبتوا القدرة أخص من العلم، فينبغي لهم أن يقولـوا على اعتلالهم إن لله قدرة.

١٧١ ـ جواب

ثم يقال: أليس الله عالماً، والوصف لـه بأنـه عالم أعم من الـوصف له بأنه متكلم مكلِّم؟ ثم لم يجب لأن الكلام أخص من أن يكون الله متكلماً غير عالم، فلم لا قلتم إن الكلام ـ وإن كان أخص من العلم ـ لا ينفي أن يكون لله علم، كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالماً.

١٧٢ ـ جواب

ويقال لهم: من أين علمتم أن الله عالم؟ فـإن قالـوا: بقولـه عز وجـل: ﴿**إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ**﴾ [الشورى: ١٢].

قيل لهم: ولذلك فقولوا: إن لله علماً بقوله: ﴿**أَنْـزَلَهُ بِعِلْمِـهِ**﴾ [النساء: ١٦٦] وبقوله: ﴿**مَا تَحْمِلُ مِن أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**﴾ [فاطر: ١١] وكذلك قولوا: إن له قوة لقوله: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الَّذي خَلَقَهُم هُوَ أَشَدُّ مِنْهُم قُـوَةً**﴾ [فصلت: ١٥].

وإن قـالوا: قلنـا: إن الله عالم لأنـه صنع العـالم على مـا فيـه من آثـار الحكمة واتساق التدبير.

قيل لهم: فلم لا قلتم: إن لله علماً بما ظهر في العالم من حكمه وآثـار تدبيره؟ لأن الصنائع الحكميـة لا تظهـر إلا من ذي علم، كما لا تـظهر إلا من عالم، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة، كما لا تظهر إلا من قادر.

١٧٣ ـ جواب

ويقال لهم؛ إذا نفيتم علم الله فلم لا[١] نفيتم أسماءه؟

فإن قالوا: كيف ننفي أسماءه وقد ذكرها في كتابه؟

قيل لهم: فلا تنفوا العلم والقوة، لأنه تبارك وتعالىٰ ذكر ذلك في كتابه العزيز.

١٧٤ ـ جواب آخر

ويقال لهم: قد عَلَّم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، ولا يجوز أن يُعَلِّمَهُ ما لا يعلمه، فكذلك لا يجوز أن يُعَلِّم اللّهُ نبيه ما لا عِلْمَ لله به، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً.

١٧٥ ـ جواب

ويقال لهم: أليس إذا لعن الله الكافرين فلعنه لهم معنى، ولعن النبي صلى الله عليه وسلم لهم معنى؟

فإن قالوا[٢]: نعم.

فيقال لهم: فما أنكرتم من أن الله تعالى إذا عَلَّم نبيه صلى الله عليه وسلم شيئاً فكان للنبي صلى الله عليه وسلم علم ولله سبحانه علم، وإذا كنا متى أثبتناه غاضباً[٣] على الكافرين فلا بد من إثبات غضب، وكذلك إذا أثبتناه راضياً عن المؤمنين فلا بد من إثبات رضى، وكذلك إذا أثبتناه حياً سميعاً بصيراً فلا بد من إثبات حياة وسمع وبصر.

(١) في نسخة: هلا.
(٢) في نسخة: فمن قولهم.
(٣) في نسخة: غضباناً.

١٧٦ - جواب

ويقال لهم: وجدنا اسم عالم اشتق من عِلْمٍ، واسم قادر اشتق من قدرة، وكذلك اسم حي اشتق من حياة، واسم سميع اشتق من سمع، واسم بصير اشتق من بصر، ولا تخلو أسماء الله عز وجل من أن تكون مشتقة، إما لإفادة معنى، أو على طريق التلقيب، فلا يجوز أن يسمى الله عز وجل على طريق التلقيب باسم ليس فيه إفادة معنى، وليس مشتقاً من صفة.

فإذا قلنا: إن الله عز وجل عالمٌ قادرٌ فليس ذلك تلقيباً، كقولنا: زيد وعمرو، وعلى هذا إجماع المسلمين.

وإذا لم يكن ذلك تلقيباً وكان مشتقاً من عِلْم، فقد وجب إثبات العلم، وإن كان ذلك لإفادة معنى[1] فلا يختلف ما هو (كذا) لإفادة معنى[1] وجب[2]. ووجب إذا[3] كان معنى العالم منا أن له علماً أن يكون: كل عالم فهو ذو علم[4]، كما إذا كان قولي: موجود مفيداً معنى الإثبات، كان الباري تعالى واجباً إثباته، لأنه سبحانه وتعالى موجود.

١٧٧ - جواب

ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية: أتقولون إن لله علماً بالأشياء سابقاً فيها، ولوضع كل حامل، وحمل كل أنثى، وبإنزال كل ما أنزل؟

فإن قالوا: نعم، فقد أثبتوا العلم، ووافقوا.

وإن قالوا: لا، قيل لهم: هذا جحد منكم لقول الله عز وجل: ﴿أَنْزَلَهُ

---

(١) في نسخة: معناه.

(٢) في بعض النسخ: واجب.

(٣) كذا في الأصول ولعلى إذ

(٤) في العبارة اضطراب.

﴿بِعِلْمِهِ﴾[النساء: ١٦٦]

ولقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ ولاَ تَضَعُ إلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١] ولقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعَلْمِ اللهِ﴾ [هود: ١٤] وإذا كان قول الله عز وجل: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩] يوجب أنه عليم يَعْلَم الأشياء كذلك[1]، فما أنكرتم أن تكون هذه الآيات توجب أن لله علماً بالأشياء سبحانه وبحمده.

١٧٨ - جواب

ويقال لهم: أتقولون أن لله عز وجل علم بالتفرقة بين أوليائه وأعدائه وهل هو مريد لذلك؟ وهل له إرادة للإيمان إذا أراد الإيمان؟

فإن قالوا: نعم، فقد وافقوا.

وإن قالوا: إذا أراد الإيمان فله إرادة.

قيل لهم: وكذلك إذا فرق بين أوليائه وأعدائه فلا بد من أن يكون له علم بذلك، وكيف يجوز أن يكون للخلق علم بذلك، وليس للخالق عز وجل علم بذلك؟ هذا يوجب أن للخلق مزية في العلم وفضيلة على الخالق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

١٧٩ - جواب

ويقال لهم: إذا كان من له علم من الخلق أولى بالمنزلة الرفيعة ممن لا علم له، فإذا زعمتم أن الله عز وجل لا علم له لزمكم أن الخلق أعلى مرتبة من الخالق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) في نسخة: فكذلك.

١٨٠ ـ جواب

ويقال لهم: إذا كان من لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، فما أنكرتم من أنه لا بد من إثبات علم الله؟ وإلا ألحقتم به النقصان جل وعز عن قولكم وعلا، ألا ترون أن من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، ومن قال ذلك في الله عز وجل وصف الله سبحانه بما لا يليق به، فكذلك إذا كان من قيل له من الخلق لا علم له لحقه الجهل والنقصان، وجب أن[1] لا يُنْفَى ذلك عن الله عز وجل لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان.

١٨١ ـ جواب

ويقال لهم: هل يجوز أن ينسق الصنائع الحكمية من[2] ليس بعالم؟

فإن قالوا: ذلك محال ولا يجوز في وجود الصنائع التي تجري على ترتيب ونظام إلا من عالم قادر حي.

قيل لهم: وكذلك لا يجوز وجود الصنائع الحكمية التي تجري على ترتيب ونظام إلا من ذي علم وقدرة وحياة، فإن جاز ظهورها لا من ذي علم فما أنكرتم من جواز ظهورها لا من عالم قادر حي.

وكل مسألة سألناهم عنها في العلم فهي داخلة عليهم في القدرة والحياة والسمع والبصر.

١٨٢ ـ مسألة

وزعمت المعتزلة أن قول الله عز وجل: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١] معناه عليم.

---

(١) في بعض النسخ: أن لا.

(٢) في بعض النسخ: ممن.

قيل لهم: فإذا قال عز وجل: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] فهل معنى ذلك عندكم علم.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾؛ أعلم.| وأعلم إذ كان معنى ذلك العلم.

١٨٣ - فصل

ونفت المعتزلة صفات رب العالمين، وزعمت أن معنى سميع بصير، أي بمعنى عليم، كما زعمت النصارى أن سمع الله هو بصره وهو رؤيته، وهو كلامه، وهو علمه، وهو ابنه. عز الله وجل وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فيقال للمعتزلة: إذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى عالم، فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم، فإذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى قادر، فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم، وإذا زعمتم أن معنى حي معنى قادر، فلم لا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؟

فإن قالوا: هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدوراً.

قيل لهم: ولو كان معنى سميع بصير معنى عالم لكان كل معلوم مسموعاً، وإذا لم يجز ذلك بطل قولكم.

* * *

الباب العاشر
الكلام في الإرادة والرد على المعتزلة في ذلك(١)

١٨٤ ـ مسألة

يقال لهم: ألستم تزعمون أن الله عز وجل لم يزل عالماً؟ فمن قولهم: نعم، قيل لهم: فلم لا قلتم: إن من لم يزل عالماً في وقت من الأوقات، فلم يزل مريداً أن يكون في ذلك الوقت، وما لم يزل عالماً أنه لا يكون، فلم يزل مريداً أن لا يكون، وأنه لم يزل مريداً أن يكون ما علم كما علم؟

فإن قالوا: لا نقول: إن الله لم يزل مريداً، لأن الله مريد بإرادة مخلوقة.

يقال لهم: ولم زعمتم أن الله عز وجل مريد بإرادة مخلوقة؟ وما الفصل بينكم وبين الجهمية في زعمهم أن الله عَالِمٌ بعلم مخلوق، وإذا لم يجز أن يكون علم الله مخلوقاً فما أنكرتم أن لا تكون إرادته مخلوقة.

فإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثاً لأن ذلك يقتضي أن يكون حدث بعلم آخر، كذلك لا إلى غاية.

قيل لهم: ما أنكرتم أن لا تكون إرادة الله محدثة مخلوقة، لأن ذلك يقتضي أن تكون حدثت عن إرادة أخرى، ثم كذلك لا إلى غاية.

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ٦٠ ـ ٦٥ و ١٠٥ ـ ١٠٨.

فإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثاً لأن من لم يكن عالماً ثم علم لحقه النقصان.

قيل لهم: ولا يجوز أن تكون إرادة الله محدثة مخلوقة، لأن من لم يكن مريداً ثم أراد لحقه النقصان، وكما لا يجوز أن تكون إرادته تعالى محدثة مخلوقة، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثاً مخلوقاً.

١٨٥ ـ دليل آخر

ويقال لهم: إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله عز وجل الكفر والعصيان وهو لا يريده، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون، فلم يؤمنوا. فقد وجب على قولكم: إن أكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون كان، لأن الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه عندكم أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه، وأكثر ما شاء أن يكون لم يكن، وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان، وما لا يشاء لا يكون.

١٨٦ ـ حجة أخرى

ويقال لهم: يستفاد من قولكم إن كثيراً مما شاء إبليس أن يكون كان، لأن الكفر أكثر من الإيمان، وأكثر ما كان هو شاءه؛ فقد جعلتم مشيئة إبليس أنفذ من مشيئة رب العالمين، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ولا إله غيره، لأن أكثر ما شاءه[1] كان، وأكثر ما كان قد شاءه، وفي هذا إيجاب أنكم قد جعلتم لإبليس مرتبة في المشيئة ليست لرب العالمين، تعالى الله عز وجل عن قول الظالمين علواً كبيراً.

١٨٧ ـ حجة أخرى

ويقال لهم: أيما أولى بصفة الاقتدار من إذا شاء أن يكون الشيء كان

---

(١) أي إبليس لعنه الله.

لا محالة، وإذا لم يرده لم يكن، أو من يريده أن يكون فلا يكون، ويكون ما لا يريد؟

فإن قالوا: من لا يكون أكثر ما يريده أولى بصفة الاقتدار كابروا.

وقيل لهم: إن جاز لكم ما قلتموه جاز لقائل أن يقول من يكون ما لا يعلمه أولى بالعلم ممن لا يكون إلا ما يعلمه.

وإن رجعوا عن هذه المكابرة وزعموا أن من إذا أراد أمراً كان، وإذا لم يرده لا يكون أولى بصفة الاقتدار، لزمهم على مذاهبهم أن يكون إبليس ـ لعنه الله ـ أولى بالاقتدار من الله عز وجل، لأن أكثر ما أراده كان، وأكثر ما كان قد أراده.

وقيل لهم: إذا كان من إذا أراد أمراً كان، وإذا لم يرده لم يكن أولى بصفة الاقتدار، فيلزمكم أن يكون الله عز وجل إذا أراد أمراً كان، وإذا لم يرده لم يكن، لأنه أولى بصفة الاقتدار.

١٨٨ ـ مسألة

ويقال لهم: أيما أولى بصفة الإلهية والسلطان من لا يكون إلا ما يعلمه، ولا يغيب عن علمه شيء، ولا يجوز ذلك عليه؟ أو من يكون ما لا يعلمه، ويعزب عن علمه أكثر الأشياء؟

فإن قالوا: من لا يكون إلا ما يعلمه ولا يعزب عن علمه شيء أولى بصفة الإلهية.

قيل لهم: فكذلك من لا يريد كون شيء إلا ما كان، ولا يكون إلا ما يريده، ولا يعزب عن إرادته شيء، أولى بصفة الإلهية، كماقلتم ذلك في العلم. وإن قالوا ذلك تركوا قولهم، ورجعوا عنه، وأثبتوا الله عز وجل مريداً لكل كائن، وأوجبوا أنه لا يكون إلا ما يريد أن يكون.

١٨٩ ـ مسألة

ويقال لهم: إذا قلتم إنه يكون في سلطانه تعالى ما لا يريد، فقد كان إذن في سلطانه ما كرهه، فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فإذا كان في سلطانه ما يكرهه، فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما يأبى كونه، فإن أجابوا إلى ذلك، قيل لهم. فقد كانت المعاصي شاء الله أم أبى، وهذه صفة الضعف والفقر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

١٩٠ ـ مسألة

ويقال لهم: أليس مما فعل العباد ما يُسْخِطه تعالى وما يغضب عليهم إذا فعلوه، فقد أغضبوه وأسخطوه؟ فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فلو فعل العباد ما لا يريد وما يكرهه لكانوا قد أكرهوه، وهذه صفة القهر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

١٩١ ـ مسألة

ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى عز وجل: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧ والبروج: ١٦] فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فمن زعم أن الله تعالى فعل ما لا يريد، وأراد أن يكون من فعله ما لا يكون لزمه أن يكون قد وقع ذلك وهو ساهٍ غافل عنه، أو أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لَحِقَهُ، فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فكذلك من زعم أنه يكون في سلطان الله عز وجل ما لا يريده من عبيده لزمه أحد أمرين، إما أن يزعم أن ذلك كان عن سهو وغفلة، أو يزعم أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لحقه.

١٩٢ ـ مسألة

ويقال لهم: أليس من زعم أن الله عز وجل فعل ما لا يعلمه قد نسب الله سبحانه إلى ما لا يليق به من الجهل؟ فلا بد من نعم. فيقال لهم: فكذلك من زعم أن الله[1] فعل ما لا يريده لزمه أن ينسب الله سبحانه إلى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريده، فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: وكذلك يلزم من زعم أن العباد يفعلون ما لا يعلم الله نَسَبُ الله تعالى إلى الجهل، فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فكذلك إذا كان في كون فعل فعله الله وهو لا يريده إيجاب سهو أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده، فكذلك إذا كان من غيره ما لا يريده وجب إثبات سهو وغفلة أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد، لا فرق في ذلك بين ما كان منه وما كان من غيره.

١٩٣ ـ مسألة

ويقال لهم: إذا كان في سلطان الله ما لا يريده وهو يعلمه، ولا يلحقه الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده، فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما لا يعلمه ولا يلحقه النقصان، فإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه.

١٩٤ ـ مسألة

إن قال قائل: لم قلتم: إن الله مريد لكل كائن أن يكون، ولكل ما لا يكون أن لا يكون؟

قيل له: الدليل على ذلك أن الحجة قد وضحت أن الله عز وجل خلق الكفر والمعاصي ـ وسنبيّن ذلك بعد هذا الموضع من كتابنا ـ وإذا وجب أن

---

(١) في الأصول: عبد الله.

الله سبحانه خالق لذلك، فقد وجب أنه مريد له لأنه لا يجوز أن يخلق ما لا يريده.

١٩٥ ـ وجواب آخر

أنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله عز وجل من إكساب العباد ما لا يريده، كما لا يجوز أن يكون من فعله المُجْمَعِ على أنه فعله ما لا يريده، لأنه لو وقع من فعله ما لا يعلمه لكان في ذلك إثبات النقصان.

وكذلك القول لو وقع من عباده ما لا يعلمه، فكذلك لا يجوز أن يقع من عباده ما لا يريده، لأن ذلك يوجب أن يقع عن سهو وغفلة، أو عن ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده، كما يجب ذلك لو وقع من فعله المُجْمَعِ على أنه فعله ما لا يريده.

وأيضاً فلو كانت المعاصي ـ وهو لا يشاء أن تكون المعاصي ـ كائنة شاء الله أم أبى، وهذه صفة الضعف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقد أوضحنا أن الله لم يزل مريداً على الحقيقة التي عِلْمُهُ عليها، فإذا كان الكفر مما يكون وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون.

١٩٦ ـ مسألة

ويقال لهم: إذا كان الله عز وجل علم أن الكفر يكون، وأراد أن لا يكون، فقد أراد أن يكون ما علم على خلاف ما علم، وإذا لم يجز ذلك، فقد أراد أن يكون ما لم يعلم كما علم.

١٩٧ ـ مسأله

ويقال لهم: لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذي علم أنه يكون قبيحاً فاسداً متناقضاً خلافاً للإيمان؟

فإن قالوا: لأن مريد السَفَهِ سَفِيهٌ.

قيل لهم: ولم قلتم ذلك؟ أوليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه قال لأخيه: ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينِ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [المائدة: ٢٨ - ٢٩] فأراد أن لا يقتل أخاه لئلا يعذب، وأن يقتله أخوه حتى يبوء بإثم قتله له وسائر آثامه التي كانت عليه، فيكون من أصحاب النار، فأراد قتل أخيه[١] الذي هو سفه، ولم يكن بذلك سفيهاً، فلم زعمتم أن الله سبحانه إذا أراد سفه العباد وجب أن ينسب ذلك إليه؟

١٩٨ ـ مسألة

ويقال لهم: قد قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُ إِلَيَ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] وكان سجنهم إياه معصية، فأراد المعصية التي هي سجنهم إياه دون فعل ما يدعونه إليه، ولم يكن بذلك سفيهاً، فما أنكرتم من أن لا يجب إذا أراد الباري سبحانه سفه العباد ـ بأن يكون قبيحٌ منهم خلافاً للطاعة ـ أن يكون سفيهاً.

١٩٩ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: أليس من يرى منا جرم المسلمين كان سفيهاً، والله سبحانه يراهم ولا يُنسب إلى السفه، فلا بد من نعم.

فيقال لهم؛ فما أنكرتم أن من أراد السفه منا كان سفيهاً والله سبحانه يَريد سفه السفهاء، ولا ينسب إلى الله تعالى سفه، تعالى الله عن ذلك.

---

(١) أي أراد القتل من أخيه.

٢٠٠ ـ حجة أخرى

ويقال لهم: السفيه منا إنما كان سفيهاً كمّا أراد السفه، لأنه نهي عن ذلك، ولأنه تحت شريعة من هو فوقه، ومن يحد له الحدود، ويرسم له الرسوم، فلما أتى ما نهي عنه كان سفيهاً، ورب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ليس تحت شريعة ولا فوقه من يحد له الحدود، ويرسم له الرسوم، ولا فوقه مبيح ولا حاظر ولا آمر ولا زاجر، فلم يجب إذا أراد أن يكون قبيحاً أن ينسب إلى السفه سبحانه وتعالى.

٢٠١ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: أليس من خلَّى بين عبيده وبين إمائه منا يزني بعضهم ببعض، وهو يقدر على التفريق بينهم يكون سفيهاً، ورب العالمين عز وجل قد خلَّى بين عبيده وإمائه يزني بعضهم ببعض، وهو يقدر على التفريق بينهم وليس سفيهاً، وكذلك من أراد السفه منا كان سفيهاً، ورب العالمين جل وعز يريد السفه وليس سفيهاً.

٢٠٢ ـ حجة أخرى

ويقال لهم: من أراد طاعة الله منا كان مطيعاً كما أن من أراد السفه كان سفيهاً، ورب العالمين عز وجل يريد الطاعة وليس مطيعاً، فكذلك يريد السفه وليس سفيهاً.

٢٠٣ ـ حجة أخرى

ويقال لهم: قال الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا**﴾ [البقرة: ٢٥٣] فأخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا، قال: ﴿**وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ [البقرة: ٢٥٣] من القتال، فإذا وقع القتال فقد شاءه، كما أنه قال: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ [الأنعام: ٢٨] فقد أوجب أن الرد لو كان إلى

الدنيا لعادوا إلى الكفر، وأنهم إذا لم يردهم إلى الدنيا لم يعودوا، فكذلك لو شاء أن لا يقتتلوا لما اقتتلوا، وإذا اقتتلوا فقد شاء أن يقتتلوا.

٢٠٤ ـ مسألة

ويقال لهم: قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وإذا حق القول بذلك فما شاء أن يؤتي كل نفس هداها، لأنه إنما لم يؤتها هداها لما حق القول بتعذيب الكافرين، وإذا لم يرد ذلك فقد شاء ضلالتها.

فإن قالوا: معنى ذلك لو شئنا لأجبرناهم على الهدى واضطررناهم إليه.

قيل لهم: فإذا أجبرهم على الهدى واضطرهم إليه أيكونون مهتدين؟

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: فإذا كان إذا فعل الهدى كانوا مهتدين، فما أنكرتم لو فعل كفر الكافرين لكانوا كافرين، وهذا هدم لقولهم، لأنهم زعموا أنه لا يفعل الكفر إلا كافر.

ويقال لهم أيضاً: على أي وجه يؤتيهم الهدى لو آتاهم إياه وشاء ذلك لهم؟

فإن قالوا: على الإلجاء.

قيل لهم: وإذا ألجأهم إلى ذلك هل ينفعهم ما يفعلونه على طريق الإلجاء؟

فإن قالوا: لا[١].

---

(١) في نسخ: نعم.

قيل لهم: فإذا أخبر أنه لو شاء لآتاهم الهدى لولا ما حق منه من القول أنه يملأ جهنم، وإذا كان لو ألجأهم لم يكن نافعاً لهم ولا مزيلاً للعذاب عنهم، كما لم ينفع فرعون قوله الذي قاله عند الغرق والإلجاء، فلا معنى لقولكم، لأنه لولا ما حق من القول لأوتيت كل نفس هداها، وإتيان الهدى على الوجه الذي قلتموه لا يزيل العذاب.

٢٠٥ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: قال الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ الله الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغوْا فِي الأَرْضِ**﴾ [الشورى: ٢٧] وقال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ**﴾ [الزخرف: ٣٣] مخبراً أنه لولا أن يكون الناس مجتمعين على الكفر لبسط للكافرين[1] الرزق، وجعل لبيوتهم سقفاً من فضة، لكنه لم يبسط لهم الرزق، ولم يجعل للكافرين سقفاً من فضة، فما أنكرتم من أنه تعالى لو لم يرد أن يكون الكافرون ما خلقهم، مع علمه بأنه إذا خلقهم كانوا كافرين، كما أنه لو أراد أن يكون الناس على الكفر مجتمعين لجعل للكافرين سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون، لكنه لم يجعل للكافرين سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون، لئلا يكون الناس جميعاً على الكفر متطابقين، إذا كان في علمه أنه لو فعل ذلك لكانوا جميعاً على الكفر متطابقين.

* * *

(١) في نسخة: يكفر الكافرين.

الباب الحادي عشر
في تقدير أعمال العباد
والاستطاعة والتعديل والتجوير [1]

٢٠٦ ـ مسألة يقال للقدرية: هل يجوز أن يُعَلِّم الله عز وجل عباده شيئاً لا يعلمه؟

فإن قالوا: لا يُعلِّم الله عباده شيئاً إلا وهو به عالم.

قيل لهم: فكذلك لا يقدرهم على شيء إلا وهو عليه قادر، فلا بد من الإجابة إلى ذلك.

فيقال لهم: فإذا أقدرهم على الكفر فهو قادر على أن يخلق الكفر لهم، وإذا قدر على خلق الكفر لهم فَلِمَ أثبتم[2] أن يخلق كفرهم فاسداً متناقضاً باطلاً. وقد قال تعالى: ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ [هود:١٠٧ والبروج: ١٦] وإذا كان الكفر مما أراد الله فقد فعله وقَدَّرَهُ.

٢٠٧ ـ مسألة

ويُرَدُّ عليهم في اللطف. يقال لهم: أليس الله عز وجل قادراً على أن يفعل بخلقه من بسط الرزق ما لو فعله بهم لبغوا[3]؟ وأن يفعل بهم ما لو فعله

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ٤٩٩ ـ ٥٤٥.

(٢) في نسخة: أبيتم.

(٣) في نسخة: لبغوا في الأرض.

بالكفار لكفروا؟ كما قال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] وكما قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ﴾ الآية [الزخرف: ٣٣]. فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فما أنكرتم من أنه قادر على أن يفعل بهم لطفاً لو فعله بهم لآمنوا أجمعون، كما أنه قادر على أن يفعل بهم أمراً لو فعله بهم لكفروا كلهم.

٢٠٧ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾ [النور: ٢١] وقال: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] ـ يعني في وسط الجحيم ـ قال: ﴿تَاللهِ إِن كِدتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٦ ـ ٥٧].

ما الفضل الذي فعله بالمؤمنين الذي لو لم يفعله لاتبعوا الشيطان؟ ولو لم يفعله ما زكّى منهم من أحد أبداً؟ وما النعمة التي لو لم يفعلها لكان من المحضرين؟

وهل ذلك شيء لم يفعله بالكافرين وخص به المؤمنين؟

فإن قالوا: نعم، فقد تركوا قولهم، وأثبتوا لله عز وجل نعماً وفضلاً على المؤمنين ابتدأهم بجميعه، ولم ينعم بمثله على الكافرين وصاروا إلى القول بالحق.

وإن قالوا قد فعل الله ذلك أجمع بالكافرين لما فَعَله بالمؤمنين فقل[1]

---

(١) في نسخة: فعل.

لهم. فإذا كان الله قد فعل ذلك أجمع بالكافرين، فلم يكونوا زاكين، وكانوا للشيطان متبعين، وفي النار محضرين.

وهل يجوز أن يقول للمؤمنين: لولا أني خلقت لكم أيدٍ وأرجل لكنتم للشيطان متبعين؟ وهو قد خلق الأيدي والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين.

فإن قالوا: لا يجوز ذلك.

قيل لهم؛ وكذلك لا يجوز ما قلتموه.

وهذا يبين أن الله عز وجل اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يُعطِ الكافرين، وفضل عليهم المؤمنين.

٢٠٨ ـ مسألة في الاستطاعة

ويقال لهم: أليست استطاعة الإيمان نعمة من الله عز وجل وفضلاً وإحساناً؟

فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون توفيقاً وتسديداً فلا بد من الإجابة إلى ذلك.

يقال لهم: فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان فما أنكرتم أن يكونوا موفَّقين للإيمان، ولو كانوا موفَّقين مسدَّدين لكانوا ممدوحين، وإذا لم يجز ذلك لم يجز أن يكونوا على الإيمان قادرين، ووجب أن يكون الله عز وجل اختص بالقدرة على الإيمان المؤمنين.

٢٠٩ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: ولو كانت القدرة على الكفر قدرة على الإيمان فقد رُغِبَ

إليه في القدرة على الكفر، فلما رأينا المؤمنين يرغبون إلى الله عز وجل في قدرة الإيمان، ويزهدون في قدرة الكفر علمنا أن الذي رغبوا فيه غير الذي زهدوا فيه.

٢١٠ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: أخبرونا عن قوة الإيمان أليست فضلاً من الله عز وجل؟ فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فالتفضل أليس هو ما للمتفضل أن لا يتفضل به. وله أن يتفضل به؟ فلا بد من الإجابة إلى ذلك بنعم، لأن ذلك هو الفرق بين الفضل وبين الاستحقاق.

ويقال لهم: وللمتفضل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضل ولا يتفضل به فيأمرهم بالإيمان، وإن خذلهم لم يعطهم قدرة على الإيمان. وهذا هو قولنا ومذهبنا.

٢١١ ـ مسألة

ويقال لهم: هل يقدر الله على توفيق يوفق به الكافرين حتى يكونوا مؤمنين؟

فإن قالوا: لا. نطقوا بتعجيز الله عز وجل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإن قالوا: نعم، يقدر على ذلك، ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا، تركوا قولهم، وقالوا بالحق.

٢١٢ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْمَاً لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١] وعن قوله: ﴿وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْمَاً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

قيل لهم: معنى ذلك أنه لا يريد أن يظلمهم، لأنه قال: وما الله يريد

ظلماً لهم، ولم يقل: لا يريد ظلم بعضهم لبعض، فلم يرد أن يظلمهم، وإن كان أراد ظلم بعضهم لبعض، أي فلم يرد أن يظلمهم وإن كان أراد أن يتظالموا.

٢١٣ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣] قالوا: والكفر متفاوت فكيف يكون من خلق الله؟

والجواب عن ذلك أنه عز وجل قال: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ ـ ٤] فإنما عنىٰ ما ترى في السموات من فطور، لأنه ذكر خلق السموات ولم يذكر الكفر، وإذا كان هذا على ما قلنا بطل ما قالوه، والحمد لله رب العالمين.

٢١٤ ـ جواب

ويقال لهم: هل تعرفون لله عز وجل نعمة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه خُصَّ بها دون أبي جهل ابتداءً؟

فإن قالوا: لا، فَحُشَ قولُهم.

وإن قالوا: نعم، تركوا مذهبهم، لأنهم لا يقولون: إن الله خص المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين.

٢١٥ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾ [ص: ٢٧] فقالوا: هذه الآية تدل على أن الله عز وجل لم يخلق الباطل.

والجواب عن ذلك: أن الله عز وجل أراد تكذيب المشركين الذين

قالوا: لا حشر ولا نشور ولا إعادة، فقال تعالى: ما خلقت ذلك وأنا لا أثيب من أطاعني ولا أعاقب من عصاني، كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا نشور ولا ثواب ولا عقاب، ألا تراه قال: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧] وبيّن ذلك بقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] أي لا نسوِّي بينهم في أن نفنيهم أجمعين و نعيدهم فيكون سبيلهم سبيلاً واحداً.

٢١٦ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

والجواب عن ذلك: أن الله عز وجل قال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ يعني الخصب والخير ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ الله، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني الجدوبة والقحط والمصائب، ﴿يَقُولُوا هَذِه مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي لشؤمك، قال الله تعالى: يا محمد ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله فَمَالِ هَؤُلَاءِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ [النساء: ٧٨] في قولهم: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] فحذف قولهم، لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه، لأن القرآن لا يتناقض، ولا يجوز أن يقول في آية إن الكل من عند الله، ثم يقول في الآية الأخرى التي تليها إن الكل ليس من عند الله، على أن ما أصاب الناس هو غير ما أصابوه، وهذا يبين بطلان تعلقهم بهذه الآية، ويوجب عليهم الحجة.

٢١٧ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالجواب عن ذلك: أن الله عز وجل إنما عنى المؤمنين دون الكافرين، لأنه أخبرنا أنه ذرأ لجهنم كثيراً من خلقه، فالذين خلقهم لجهنم وأحصاهم وعدَّهم وكتبهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء أمهاتهم غير الذين خلقهم لعبادته.

٢١٨ ـ مسألة في التكليف

ويقال لهم: أليس قد كلف الله عز وجل الكافرين أن يستمعوا الحق ويقبلوه؛ ويؤمنوا بالله؟ فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فقد قال الله عز وجل: ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمع**﴾ [هود: ٢٠] وقال: ﴿**وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعَاً**﴾ [الكهف: ١٠١] وقد كلفهم استماع الحق.

٢١٩ ـ جواب

ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَون إلى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**﴾ [القلم: ٤٢] أليس قد أمرهم عز وجل بالسجود في الآخرة؟ وجاء في الخبر: «أن المنافقين يجعل في أصلابهم كالصفائح فلا يستطيعون السجود»[1]، وفي هذا تثبيت لما نقوله من أنه لا يجب لهم على الله عز وجل إذا أمرهم أن يقدرهم، وهو بطلان قول القدرية.

٢٢٠ ـ مسألة في إيلام الأطفال

ويقال لهم: أليس قد آلم الله عز وجل الأطفال في الدنيا بآلام أوصلها إليهم؟ كنحو الجذام الذي يقطع أيديهم وأرجلهم وغير ذلك مما يؤلمهم به،

---

(١) أخرج البخاري في رقم (٤٩١٩) في التفسير: باب ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً».

وكان ذلك سائغاً جائزاً. فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: فإذا كان عدلاً فما أنكرتم أن يؤلمهم في الآخرة ويكون ذلك منه عدلاً.

فإن قالوا: آلمهم في الدنيا ليعتبر بهم الآباء.

قيل لهم: فإذا فعل بهم ذلك في الدنيا ليعتبر بهم الآباء، وكان ذلك منه عدلاً فلم لا يؤلم أطفال الكافرين في الآخرة ليغيظ بذلك آباءهم ويكون ذلك منه عدلاً؟

وقد قيل في الخبر: «إِنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ تُؤَجَّجُ لَهُمْ نَارٌ يَوْمَ القِيامَة، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: اقْتَحِمُوهَا، فَمَنْ اقْتَحَمَهَا أَدْخَلَهُ الجنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَقْتَحِمْهَا أَدْخَلَهُ النَّارَ»(١).

وقد قيل في الأطفال، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنْ شِئْتَ أَسْمَعْتُكِ ضَغَّاءَهُم فِي النَّا »(٢).

٢٢١ ـ جواب

ويقال لهم: أليس قد قال الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ١ ـ ٣] وأمره مع ذلك بالإيمان، فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن، وأن الله صادق في إخباره عنه أنه لا يؤمن. وأمره مع ذلك أن يؤمن ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون ولا يقدر القادر على أن يؤمن وأن يعلم أنه لا يؤمن، وإذا كان هذا هكذا، فقد أمر الله سبحانه أبا لهب بما لا يقدر عليه، لأنه أمره أن يؤمن وأنه يعلم أنه لا يؤمن.

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٥٥).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/٢٠٨ بلفظ: «أسمعتك تضاغيهم في النار» وفي سنده أبو عقيل مولى بهية وهو ضعيف وبهية مجهولة، والصحيح أن أطفال المشركين خدم أهل الجنة كما ورد في الحديث الصحيح. انظر «الأحاديث الصحيحة» للألباني رقم (١٤٦٨).

٢٢٢ ـ مسألة

ويقال لهم: أليس أَمَرَ الله عز وجل بالإيمان من علم أنه لا يؤمن؟

فمن قولهم: نعم، يقال لهم: فأنتم قادرون على الإيمان ويتأتى لكم ذلك.

وإن قالوا: لا، وافقوا. وإن قالوا: نعم، زعموا أن العباد يقدرون على الخروج من علم الله، تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً.

٢٢٣ ـ الرد على المعتزلة

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه:

ويقال لهم: أليس المجوس أثبتوا أن الشيطان يقدر على الشر الذي لا يقدر الله عز وجل عليه، فكانوا بقولهم هذا كافرين؟

فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فإذا زعمتم أن الكافرين يقدرون على الكفر، والله عز وجل لا يقدر عليه، فقد زدتم على المجوس في قولكم[١]، لأنكم تقولون معهم إن الشيطان يقدر على الشر والله لا يقدر عليه، وهذا مما يبينه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ القَدَرِيَةَ مَجُوس هَذِهِ الأُمَّةِ»[٢] وإنما صاروا مجوس هذه الأمة لأنهم قالوا بقول المجوس.

٢٢٤ ـ مسألة

وزعمت القدرية أنا نستحق اسم القدر، لأنا نقول: إن الله عز وجل قدر الشر والكفر، فمن يثبت القدر كان قدرياً دون من لم يثبته.

---

(١) في نسخة: في قولهم.

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٩).

فيقال لهم: القدري هو من يثبت القدر لنفسه دون ربه عز وجل، وأنه يقدر أفعاله دون خالقه، وكذلك هو في اللغة، لأن الصائغ هو من زعم أنه يصوغ دون من يقول إنه يصاغ له، والنجار هو من يضيف النجارة إلى نفسه دون من يزعم[1] أنّه ينجر له، فلما كنتم تزعمون أنكم تقدرون أعمالكم وتفعلونها دون ربكم وجب أن تكونوا قدرية.

ولم نكن نحن قدرية، لأنا لم نضف الأعمال إلى أنفسنا دون ربنا عز وجل، ولم نقل: إنا نقدرها دونه، وقلنا: إنها تقدر لنا.

٢٢٥ ـ جواب

ويقال لهم: إذا كان من أثبت التقدير لله عز وجل قدرياً، فيلزمكم إذا زعمتم أن الله عز وجل قدر السموات والأرض وقدر الطاعات أن تكونوا قدرية، فإذا لم يلزم هذا فقد بطل قولكم وانتقض كلامكم.

٢٢٦ ـ مسألة في الختم

يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿**خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾ [البقرة: ٧] وقال عز وجل: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً**﴾ [الأنعام: ١٢٥] فخبِّرونا عن الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، أتزعمون أنه هداهم وشرح للإسلام صدورهم وأضلهم؟

فإذا قالوا: نعم، تناقض قولهم.

وقيل لهم: كيف تكون الصدور مشروحة للإيمان، وهي ضيقة حرجة مختوم عليها، وكيف يجمع القفل الذي قال الله عز وجل: ﴿**أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ**

---

(١) في نسخة: يقول

﴿أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٥] مع الشرح، والضيق مع السعة، والهدى مع الضلال؟ إن كان هذا جائزاً. جَاز أن يجتمع التوحيد والإلحاد الذي هو ضد التوحيد، والكفر والإيمان معاً في قلب واحد، وإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه.

فإن قالوا: الختم والضيق والضلال لا يجوز أن يجتمع مع شرح الله الصدر.

قيل لهم: وكذلك الهدى لا يجتمع مع الضلال، وإذا كان هكذا فما شرح الله صدورَ الكافرين للإيمان، بل ختم الله على قلوبهم، وأقفلها عن الحق، وشد عليها، كما دعا نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام على قومه، فقال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِم وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِم فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَروا العَذَابَ الأليم﴾ [يونس: ٨٨] وقال الله عز وجل: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما﴾ [يونس: ٨٩] وقال عز وجل يخبر عن الكافرين أنهم قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[فصلت: ٥]فإذا خلق الله عز وجل الأكنةَ في قلوبهم والقفل والزيغ[1] والختمَ وضيقَ الصدر، ثم أمرهم بالإيمان الذي عَلِمَ أنه لا يكون، فقد أمرهم بما لا يقدرون عليه، وإذا خلق الله في قلوبهم ما ذكرناه من الضيق عن الإيمان، فهل الضيق عن الإيمان إلا الكفر الذي في قلوبهم، وهذا يبين أن الله خلق كفرهم ومعاصيهم.

٢٢٧ ـ جواب

ويقال لهم؛ قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٤] وقال تعالى يخبر عن

---

(١) جاء في الأصول بعد قوله: الزيغ قوله تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [الصف: ٥]، والآية مقحمة في السياق كما لا يخفى، والله أعلم.

يـوسف صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَـدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَـا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُـرْهَانَ رَبِّـهِ﴾ [يوسف: ٢٤] فحـدِّثونـا عن ذلك التثبيت والبـرهان، هـل فعله الله عز وجل بالكافرين أو ما هو مثله؟

فإن قالوا: لا. تركوا القول بالقدر.

وإن قالوا: نعم.

قيل لهم: فإذا كان لم يركن إليهم من أجـل التثبيت فيجب لو كـان فعل ذلك بالكـافرين أن لا[1] يثبتـوا عن الكفر، وإذا لم يكـونوا عن الكفـر مفترقين فقـد بطل أن يكـون فعـل بهم مثـل مـا فعله بـالنبي صلى الله عليـه وسلم من التثبيت الذي لما فعله به لم يركن إلى الكافرين.

٢٢٨ ـ مسألة في الاستثناء

يقال لهم: خبرونا عن مطالبة رجل بحق، فقال له: والله لأعطينك ذلـك غداً إن شاء الله تعالى، أليس الله شائياً أن يعطيه حقه؟

فإن قالوا: نعم.

يقال لهم: أفرأيتم إن جاء الغد فلم يعطه حقه، أليس لا يحنث[2]؟ فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فلو كان الله شاء أن يعطيه حقه لحنث إذا لم يعطه، كما لـو قـال: والله لأعطينـك حقـك إذا طلع الفجـر غـداً، ثم طلع ولم يعـطه يكـون حانثاً.

---

(١) ساقطة من بعض النسخ.

(٢) بل يحنث لأن قوله: «إن شاء الله تعالى» قاله تحقيقاً لا تعليقاً وإلا فما فائدة القسم !

٢٢٩ ـ مسألة في الآجال

يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقال: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] فلا بد من نعم.

يقال لهم: فخبرونا عمن قَتَله قاتلٌ ظُلماً أتزعمون أنه قُتل في أجله أو بغير أجله؟

فإن قالوا: نعم، وافقوا وقالوا بالحق، وتركوا القدر.

وإن قالوا: لا.

قيل لهم: فمتى أجل هذا المقتول؟

فإن قالوا: الوقت الذي علم الله أنه لو لم يقتل لتزوج امرأة علم أنها امرأته، وإن لم يبلغ إلى أن يتزوجها، وإذا كان في معلوم الله أنه لو لم يقتل وبقي لكفر أن تكون النار داره، وإذا لم يجز هذا لم يجز أن يكون الوقت الذي لم يبلغ إليه أجلاً له، على أن هذا القول لا مقيدٌ لقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

٢٣٠ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: إذا كان القاتل عندكم قادراً على أن لا يقتل هذا المقتول، فيعيش فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله، وهو قادر على تأخيره إلى أجله، فالإنسان على قولكم يقدر أن يقدم آجال العباد ويؤخرها، ويقدر أن يبقي العباد ويبلغهم ويخرج أرواحهم، وهذا إلحاد في الدين.

٢٣١ ـ مسألة في الأرزاق

ويقال لهم: خبرونا عمن اغتصب طعاماً فأكله حراماً هل رزقه الله ذلك الحرام؟

فإن قالوا: نعم تركوا القدر.

وإن قالوا: لا.

قيل لهم: فمن أكل جميع عمره الحرام فما رزقه الله شيئاً اغتذى به جسمه.

ويقال لهم: فإذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعام، ويطعمه إياه إلى أن مات، فرازق هذا الإنسان عندكم غير الله، وفي هذا إقرار منهم أن للخلق رازِقَيْنَ: أحدهما يرزق الحلال، والآخر يرزق الحرام، وأن الناس تنبت لحومهم وتشتد عظامهم، والله غير رازق لهم ما اغتذوا به.

وإذا قلتم: إن الله لم يرزقه الحرام، لزمكم أن الله لم يغذه به، ولا جعله قواماً لجسمه، وأن لحمه وجسمه قام، وعظمه اشتد بغير الله عز وجل، وهو من رزقه الحرام، وهذا كفر عظيم إن احتملوا.

٢٣٢ ـ مسألة أخرى في الأرزاق

ويقال لهم: لم أبيتم أن يرزق الله الحرام؟

فإن قالوا: لأنه لو رزق الحرام لَمَلَّكَ الحرام.

يقال لهم: خبرونا عن الطفل الذي يتغذى من لبن أمه، وعن البهيمة التي ترعى الحشيش من يرزقهما ذلك؟

فإن قالوا: الله.

قيل لهم: هل مَلَّكهما وهل للبهيمة مِلك؟

فإن قالوا: لا.

قيل لهم: فلم زعمتم أنه لو رزق الحرام لَمَلَّكَ الحرام، وقد يِرزق الله الشيء ولا يُمَلِّكه؟

ويقال لهم: هل أقدر الله العبد على الحرام ولو لم يُمَلِّكه إياه؟

فإن قالوا: نعم. يقال لهم: فما أنكرتم أن يرزقه الحرام، وإن لم يُمَلِّكه إياه.

٢٣٣ - جواب

يقال لهم: إذا كان توفيق المؤمنين بالله فما أنكرتم أن يكون خذلان الكافرين من قبل الله تعالى، وإلا فإن زعمتم أن الله وفق الكافرين للإيمان، فقولوا: عصمهم من الكفر، وكيف يعصمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم، فإن أثبتوا أن الله خذلهم قيل لهم: فالخذلان من الله أليس هو الكفر الذي خلقه فيهم؟

فإن قالوا: نعم وافقوا.

وإن قالوا: لا.

قيل لهم: فما ذلك الخذلان الذي خلقه؟

فإن قالوا: تَخْلَيته إياهم والكفر.

قيل لهم: أوليس من قولكم إن الله عز وجل خلًّا بين المؤمنين وبين الكفر؟

فمن قولهم: نعم.

قيل لهم: فإن كان الخذلان التخلية بينهم وبين الكفر، فقد لزمكم أن يكون خذل المؤمنين لأنه خلَّى بينهم وبين الكفر، وهذا خروج عن الدين، فلا بد لهم أن يثبتوا لهم الخذلان للكفر الذي خلقه الله فيهم، فيتركوا القول بالقدر.

٢٣٤ ـ مسألة

إن سأل سائل من أهل القدر، فقال: هل يخلو العبد من أن يكون بين نعمة يجب عليه أن يشكر الله عليها، أو بلية يجب عليه الصبر عليها.

قيل له: العبد لا يخلو من نعمة وبلية، والنعمة يجب على العبد أن يشكر الله عليها، والبلايا على ضربين:

منها ما يجب الصبر عليها كالأمراض والأسقام وما أشبه ذلك.

ومنها ما يجب عليه الإقلاع عنها كالكفر والمعاصي.

٢٣٥ ـ مسألة

وإن سألوا فقالوا: أيما خَيْرٌ، الخيرُ أو مَنْ الخير منه؟

قيل لهم: من كان الخير منه متفضلاً به فهو خير من الخير.

فإن قالوا: فأيما شَرٌ، الشرُّ أو مَنْ الشرُّ منه؟

قيل لهم: من كان الشر منه جائراً به فهو شر من الشر، والله عز وجل يكون منه الشر خَلْقَاً وهو عادل به، فلذلك لا يلزمنا ما سألتم عنه على أنكم ناقضون لأصولكم، لأنه إن كان من كان الشر منه فهو شر من الشر، وقد خلق الله عز وجل إبليس الذي هو شر من الشر الذي يكون منه، فقد خلق ما هو شر من الشرور كلها، وهذا نقض دينكم وفساد مذهبكم.

٢٣٦ ـ مسألة في الهدى

يقال للمعتزلة: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿**آلم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ١ ـ ٢] فأخبر أن القرآن هدى للمتقين؟ فلا بد من نعم.

يقال لهم: أوليس قد ذكر الله عز وجل القرآن فقال: ﴿**وَالَّذِينَ لَا**

يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِم وَقْرٌ وَهوَ عَلَيْهِم عَمَىٰ﴾ [فصلت: ٤٤] فخبر أن القرآن على الكافرين عمى؟ فلا بد من نعم.

ويقال لهم: فهل يجوز أن يكون من خبر الله عز وجل أن القرآن له هدى هو عليه عمى؟ فلا بد من لا.

فيقال لهم: فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمى على من أخبر الله تعالى أنه له هدى، كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى.

٢٣٧ ـ مسألة أخرى

ثم يقال لهم: إذا جاز أن يكون دعاء الله إلى الإيمان هدى لمن قَبِلَ ولمن لم يَقْبَل فما أنكرتم دعاء إبليس إلى الكفر إضلالاً لمن قَبِل ولمن لم يَقْبَل فإن كان دعاءُ إبليس إلى الكفر إضلالاً للكافرين الذين قبلوا عنه دون المؤمنين الذين لم يقبلوا عنه، فما أنكرتم أن دعاء الله عز وجل إلى الإيمان هدى للمؤمنين الذين قبلوا عنه دون الكافرين الذين لم يقبلوا عنه، وإلا فما الفرق بين ذلك؟

٢٣٨ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: أليس قال الله عز وجل: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً، وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦] فهل يدل قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ على أنه لم يضل الكل، لأنه لو أراد الكل لقال يضل به الكل، فلما قال: ﴿يُضِلّ بِهِ كَثِيرَاً﴾ علمنا أنه لم يضل الكل؟ فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فما أنكرتم أن قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ دليل على أنه لم يرد الكل، لأنه لو أراد الكل لقال ويهدي به الكل، فلما قال: ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ علمنا أنه لم يهد الكل، وفي هذا إبطال قولكم: إن الله هدى الخلق أجمعين.

٢٣٩ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: إذا قلتم: إن دعاء الله إلى الإيمان هدى للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله إلى الإيمان نفعاً وصلاحاً وتسديداً للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، وما أنكرتم أن يكون عصمة لهم من الكفر، وإن لم يوفقوا للإيمان، وفي هذا ما يجب أن الله سدد الكافرين وأصلحهم وعصمهم ووفقهم للإيمان، وإن كانوا كافرين، وهذا مما لا يجوز، لأن الكافرين مخذولون، وكيف يكونون موفقين للإيمان وهم مخذولون؟ فإن جاز أن يكون الكافر موفقاً للإيمان، فما أنكرتم أن يكون الإيمان له متفقاً، فإن استحال هذا فما أنكرتم أن يستحيل ما قلتموه.

٢٤٠ ـ مسألة في الضلال

يقال لهم: هل أضل الله الكافرين عن الإيمان أو عن الكفر؟

فإن قالوا: عن الكفر.

قيل لهم: فكيف يكونون ضالين عن الكفر ذاهبين عنه وهم كافرون؟

وإن قالوا: أضلهم عن الإيمان تركوا قولهم.

وإن قالوا: نقول إن الله أضلهم ولم يضلهم عن شيء.

قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن الله هدى المؤمنين لا إلى شيء؟ فإن استحال أن يهدي المؤمنين لا إلى الإيمان، فما أنكرتم من أنه محال أن يضل الكافرين لا عن الإيمان.

٢٤١ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فإن قالوا: معنى ذلك أنه يسميهم ضالين، ويحكم عليهم بالضلال.

قيل لهم: أليس خاطب الله العرب بلغتها، فقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤]؟ فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فإذا كان الله عز وجل أنزل القرآن بلسان العرب، فمن أين وجدتم في لغة العرب، أن يقال أضل فلان فلاناً، أي سماه ضالاً؟

فإن قالوا: وجدنا القائل يقول: إذا قال رجل لرجل: ضالٌّ: قد ضللته.

قيل لهم: قد وجدنا العرب يقولون: ضلل فلان فلاناً إذا سماه ضالاً. ولم نجدهم يقولون أضل فلان فلاناً بهذا المعنى، فلما قال الله عز وجل: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ لم يجز أن يكون ذلك معنى الاسم، والحكم إذا لم يجز في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلاناً إذا سماه ضالاً بطل تأويلكم إذا كان خلاف لسان العرب.

٢٤٢ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: إذا قلتم: إن الله أضل الكافرين بأن سماهم ضالين، وليس ذلك في اللغة على ما ادعيتموه، فليزمكم إذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم قوماً ضالين فاسدين بأن يكون قد أضلهم وأفسدهم بأن سماهم ضالين فاسدين، وإذا لم يجز هذا بطل أن يكون معنى: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ الاسم والحكم كما ادعيتم.

٢٤٣ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدْ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً﴾ [الكهف: ١٧] وقال عز وجل: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦] فذكر أنه لا يهديهم وقال تعالى: ﴿ واللهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] فجعل الدعاء عاماً والهدى خاصاً.

وقال تعالى ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤] فإذا أخبر الله عز وجل أنه لا يهدي القوم الكافرين فكيف يجوز لقائل أن يقول إنه هدى الكافرين، مع إخباره أنه لا يهديهم، ومع قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ومع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ومع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣] وإن جاز هذا جاز أن يقال: أضل المؤمنين مع قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧] ومع قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] فإن لم يكن ذلك فما أنكرتم أنه لا يجوز أن يهدي الكافرين مع قوله تعالى: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤] ومع سائر الآيات التي طالبناكم بها.

٢٤٤ ـ مسألة

ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣] فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فأضلهم ليضلوا أو ليهتدوا؟

فإن قالوا: أضلهم ليهتدوا.

قيل لهم: وكيف يجوز أن يضلهم ليهتدوا. وإن جاز هذا جاز أن يهديهم ليضلوا. وإذا لم يجز أن يهدي المؤمنين ليضلوا فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا.

٢٤٥ ـ مسألة

ويقال لهم: إذا زعمتم أن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا، فما أنكرتم أن ينفعهم فلا ينتفعون، وأنه يصلحهم فلا يصلحون، وإذا جاز أن ينفع من لا

ينتفع بنفعه فما أنكرتم من أنه يضر من لا تلحقه المضرة، فإن كان لا يضر إلا من يلحقه الضرر، فكذلك لا ينفع إلا منتفعاً، ولو جاز أن ينفع من ليس منتفعاً ويهدي من ليس مهتدياً جاز أن يقدر من ليس مقتدراً، وإذا استحال ذلك استحال أن ينفع من ليس منتفعاً، ويهدي من ليس مهتدياً.

٢٤٦ ـ مسألة يسألون عنها

تقولون: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدَىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ**﴾ [البقرة: ١٨٥] فما أنكرتم أن يكون القرآن هدى للكافرين والمؤمنين.

قيل لهم: الآية خاصة، لأن الله عز وجل قد بين لنا أنه **هُدَىً لِّلْمُتَّقِينَ**، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين، والقرآن لا يتناقض، فوجب أن يكون قوله: ﴿**هُدَىً لِّلنَّاسِ**﴾ أراد المؤمنين دون الكافرين.

٢٤٧ ـ سؤال

فإن قال قائل: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّمَا تُنْذِرُ مَن اتَّبَعَ الذِّكْرَ**﴾ [يس: ١١] وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَن يَخْشَاهَا**﴾ [النازعات: ٤٥] وقد أنذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتبع الذكر ومن لم يتبع، ومن خشي ومن لم يخش؟

قيل له: نعم.

فإن قالوا: فما أنكرتم أن يكون قوله تعالى: ﴿**هُدَىً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ أراد به هدى لهم ولغيرهم.

قيل لهم: إن معنى قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّما تُنْذِرُ من اتَّبَعَ الذِّكْرَ**﴾ [يس: ١١] إنما أراد به ينتفع بانذارك من اتبع الذكر، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَن يَخْشَاهَا**﴾ [النازعات: ٤٥] أراد أن الإنذار ينتفع به من يخشى

الساعة ويخاف العقوبة فيها، وإن الله عز وجل قد أخبر في موضع آخر من القرآن أنه أنذر الكافرين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِين كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِم أأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] وهذا هو خبر عن الكافرين وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ١١٤] وقال تعالى: ﴿أَنْذَرْتُكُم صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] وهذا خطاب للكافرين.

فلما أخبر الله عز وجل في آيات من القرآن أنه أنذر الكافرين، كما أخبر الله في آيات من القرآن أنه أنذر من يخشاها، وأنذر من اتبع الذكر، وجب بالقرآن أن الله قد أنذر المؤمنين والكافرين، فلما أخبرنا الله أنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وعمى على الكافرين، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين وجب أن يكون القرآن هدى للمؤمنين دون الكافرين.

٢٤٨ ـ مسألة

إن سأل سائل عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُم فَاسْتَحَبُّوا العَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] فقال: أليس ثمود كانوا كافرين، وقد أخبر الله أنه هداهم؟

قيل له: ليس الأمر كما ظننت.

والجواب في هذه الآية على وجهين:

أحدهما ـ أن ثمود على فريقين: كافرين ومؤمنين، وهم الذين أخبر الله أنه أنجاهم مع صالح بقوله عز وجل: ﴿نَجَّيْنا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [هود: ٦٦] فالذين عنى الله عز وجل من ثمود أنه هداهم هم المؤمنون دون الكافرين، لأن الله عز وجل قد بيّن لنا في القرآن أنه لا يهدي الكافرين، والقرآن لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضاً، فإذا أخبرنا في موضع أنه لا يهدي الكافرين، ثم أخبر في موضع أنه هدى ثمود، علمنا أنه إنما أراد المؤمنين من ثمود دون الكافرين.

والوجه الآخر: أن الله عز وجل عنى قوماً من ثمود كانوا مؤمنين، ثم ارتدوا، فأخبر أنه هداهم فاستحبوا بعد الهداية الكفر على الإيمان، وكانوا في حال هداهم مؤمنين.

فإن قال قائل معترضاً في الجواب الأول: كيف يجوز أن يقول: ﴿**فَهَدَيْنَاهُم**﴾ ويعني المؤمنين من ثمود، ويقول: ﴿**فَاسْتَحَبُّوا**﴾ يعني الكافرين منهم وهم غير مؤمنين؟

يقال له: هذا جائز في اللغة التي ورد بها القرآن أن يقول ﴿**فَهَدَيْنَاهُم**﴾ ويعني المؤمنين من ثمود، ويقال: ﴿**فَاسْتَحَبُّوا**﴾ يعني الكافرين منهم. وقد ورد القرآن بمثل هذا، قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِم**﴾ [الأنفال: ٣٣] يعني الكافرين، ثم قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُم يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٣] يعني المؤمنين، ثم قال ﴿**وَمَا لَهُم أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ**﴾ [الأنفال: ٣٤] يعني الكافرين، ولا خلاف عند أهل اللغة في جواز الخطاب بهذا أن يكون ظاهره لجنس، والمراد به جنسان، فبطل ما اعترض به المعترض، ودل على جهله.

* * *

الباب الثاني عشر
ذكر الروايات في القدر

٢٥٠ ـ روى معاوية بن عمرو، قال: حدثنا زائدة قال: حدثنا سليمان الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود، قال: أَخْبَرَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ ـ: «إِنَّ خَلقَ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله المَلَكَ، قال: فيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، يُقَالُ: اكْتُبْ أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ، قَالَ: فَوَ الَّذِي لَا إِله غَيْرُهُ! إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلَ الجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعُ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعُ. فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»[1] لا حرمنا الله منها[2].

٢٥١ ـ وروى معاوية بن عمرو، قال: حدثنا زائدة عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، قَالَ مُوسَىٰ: يَاآدَمُ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ: فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ

(١) انظر ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في «تحفة المودود» ص (١٥٤ ـ ١٥٧). طبعتنا.

(٢) البخاري رقم (٣٢٠٨) في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، ورقم (٣٣٢) في الأنبياء: باب خلق آدم وذريته، ورقم (٦٥٩٤) في القدر: باب في القدر، ورقم (٧٤٥٤) في التوحيد: باب ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين**﴾، ومسلم رقم (٢٦٤٣) في القدر: باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلِمَاتِهِ، تَلُومُنِي عَلَىٰ عَمَلٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَواتِ قَالَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»(١).

وروى حديث «حَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»: مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم(٢).

وهذا يدل على بطلان قول القدرية الذين يقولون: إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون، لأن الله عز وجل إذا كتب ذلك وأمر بأن يُكْتب فلا يَكْتُبُ شيئاً لا يعلمه جل عن ذلك وتقدس. وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦] وقال: ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] وقال: ﴿لَّقَدْ أَحْصَاهُم وَعَدَّهُم عَدًّا﴾ [مريم: ٩٤] وقال: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] وقال؛ ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها.

وقد أخبر الله عز وجل أن الخلق يبعثون ويحشرون، وأن الكافرين في النار يخلدون. وأن الأنبياء والمؤمنين في الجنان يخلدون(٣)، وأن القيامة تقوم، ولم تقم القيامة بعدُ، فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل

---

(١) البخاري رقم (٣٤٠٩) في الأنبياء: باب وفاة موسى وذكره بعد، ورقم (٤٧٣٦) في التفسير: باب (واصطنعتك لنفسي)، ورقم (٤٧٣٨) باب (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى، ورقم (٦٦١٤) في القدر: باب تحاج آدم وموسى، ورقم (٧٥١٥) في التوحيد: باب (وكلم الله موسى تكليماً). ومسلم رقم (٢٦٥٢) في القدر: باب حجاج آدم وموسى. انظر روايات الحديث في «جامع الأصول» رقم (٧٥٩٨).

(٢) رواه مالك ٢/٨٩٨ في القدر: باب النهي عن القول بالقدر، وإسناده صحيح.

(٣) في نسخة: يدخلون.

أن يكـون. وقد قـال الله في أهل النـار: ﴿وَلَـوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَـا نُهُـوا عَنْـهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] فأخبر عما لا يكون أن لو كان كيف يكون.

وقال تعالى: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَـابٍ لَا يَضِـلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾ [طه: ٥١ ـ ٥٢] ومن لا يعلم الشيء قبل كـونـه لا يعلمه بعد تقضيه، تعالى الله عن قول الظالمين علواً كبيراً.

٢٥١ ـ وروى معـاويـة بن عمـرو، قـال: حـدثنـا زائـدة، عن سليمـان الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. عن عبـد الله بن ربيعة، قال: كنا عند عبد الله، قال: فـذكروا رجـلاً فذكـروا من خُلُقِهِ، فقـال القوم: أما له من يأخـذ على يديـه؟ قال عبـد الله: أرأيتم لو قـطع رأسه أكنتم تستطيعون أن تجعلوا له يداً؟ قالوا: لا.

قـال عبد الله: إِنَّ النُـطْفَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِي المَـرْأَةِ مَكَثَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمـاً، ثُمَّ انْحَدَرَتْ دَماً، ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكـاً فَيَقُـولُ: اكْتُبْ أَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَرِزْقَـهُ وَأَثَـرَهُ وَخُلُقَـهُ وَشَقِيٌ أَوْ سَعِيـدٌ، وإِنَّكُم لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تغيِّروا خَلْقَهُ حتى تغيِّروا خُلُقَهُ[1].

٢٥٢ ـ وروى معـاوية بن عمـرو، قال: حـدثنا زائـدة عن منصـور، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي رضي الله عنه، قال: كنـا في جنازة في بقيع الغرقد فـأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقعـد ونحن حولـه، ومعه مخصرة له فنكت بها ورفع رأسه، فقال صلى الله عليه وسلم: «مَـا مِنْكُمْ

---

(١) وهو موقوف على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد جاء حديث النطفـة والعلقة والمضغـة وكتابـة أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد، في المرفوع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رواه البخاري وتقـدم ص(١٥٥)، وقد جـاء بمعنى الحديث الـذي ساقـه المؤلف هنا في أولـه وآخره عنـد أحمـد ٤٤٣/٦ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ قَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ أو النَّارِ، وَإلاَّ قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً». فقال رجل من القوم: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان من أهل السعادة يصير إلى السعادة. ومن كان من أهل الشقاوة فيصير إلى الشقاوة، فقال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ. أَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ»، ثم قرأ: ﴿**فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّق بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾ [الليل ٥ ـ ١٠][1].

٢٥٣ ـ وروى موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد، قال: أنا هشام بن عروة، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الكِتَابِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّه مَكْتُوبٌ فِي الكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الجَنَّةَ»[2].

وهذه الأحاديث تدل على أن الله عز وجل علم ما يكون أنه يكون وكتبه، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار، وخلقهم فريقين: فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير، وبذلك نطق كتابه العزيز إذ يقول: ﴿**فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ**﴾ [الأعراف: ٣٠] وقال تعالى: ﴿**فَرِيقٌ في الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾ [الشورى: ٧] وقال تعالى: ﴿**فَمِنْهُم شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾ [هود:

---

(١) البخاري رقم (١٣٦٢) في الجنائز: باب موعظة المحدث عند القبر، ورقم (٤٩٤٥ ـ ٤٩٤٩) و(٦٢١٧) و(٦٦٠٥) و(٧٥٥٢)، ومسلم رقم (٢٦٤٧) في القدر: باب كيفية الخلق.

(٢) أحمد في «المسند» ٦/١٠٧ ـ ١٠٨ وهو حديث صحيح.

١٠٥] فخلق الله الأشقياء للشقاوة والسعداء للسعادة، وقال عز وجل؛ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٢٥٤ ـ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ لِلجَنَّةِ أَهْلاً وَلِلنَّارِ أَهْلاً»[١]. أعاذنا الله منها.

٢٥٥ ـ دليل في القدر

ومما يدل على بطلان قول القدرية قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَتَهُم﴾ الآية. [الأعراف: ١٧٢].

وقد جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ فَأَخْرَجَ ذُرِّيَتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ، كَأَمْثَالِ الذَّرِّ، ثُمَّ قَرَّرَهُمْ بِوِحْدَانِيَتِهِ، وَأَقَامَ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ»[٢]، لأنه قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُم عَلَىٰ أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ قال الله عز وجل: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آدم حجة عليهم إذا أنكروا في الدنيا ما كانوا عرفوه في الذر الأول، ثم من بعد الاقرار جحدوه.

٢٥٦ ـ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ اللهَ قَبَضَ قَبْضَةً لِلجَنَّةِ، وَقَبَضَ قَبْضَةً لِلنَّارِ، مَيَّزَ بَعْضاً مِنْ بَعْضٍ، فَغَلَبَتْ الشَّقْوَةُ عَلَىٰ أَهْلِ الشِّقْوَةِ وَالسَّعَادَةُ عَلَىٰ أَهْلِ السَّعَادَةِ».

---

(١) مسلم رقم (٢٦٦٢) في القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، من حديث عائشة رضي الله عنها. سيأتي لفظه ص (١٦٠)

(٢) رواه مالك في «الموطأ» ٢/٨٩٨، والترمذي رقم (٣٠٧٧) والحاكم ١/٢٧ من حديث مسلم بن يسار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر رضي الله عنه فهو منقطع، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه عند أحمد ١/٢٧٢ والحاكم ١/٢٧ و٢٨ وصححه ووافقه الذهبي، ورجح ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه موقوف عليه، وانظر «تفسيره» ٢/٢٦١ ـ ٢٦٤.

قـال الله عز وجـل مخبراً عن أهـل النار أنهم قـالوا: ﴿رَبَّنَـا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] وكل ذلك بأمـر قد سبق في علم الله عز وجل، ونفذت فيه إرادته، وتقدمت فيه مشيئته.

٢٥٧ ـ وروى معـاوية بن عمـرو، قـال؛ حـدثنـا زائـدة، قـال: حـدثنـا طلحـة بن يحيى القرشي، قـال: حدثتني عـائشة بنت طلحـة، عن عائشـة أم المؤمنين أن النبي صلى الله عليــه وسلم دُعِيَ إلى جنـازة غــلام من الأنصـار ليصلي عليه، فقالت عائشة: طوبى لهذا يـا رسول الله! عصفـور من عصافيـر الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه؟ قال: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ! إنّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِم، وَلِلنَّارِ أَهْلاً جَعَلَهُمْ لَهَـا وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِم»[1] وهذا يبين أن السعادة قـد سبقت لأهلها، والشقـاء قد سبق لأهله. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[2].

٢٥٨ ـ دليل آخر

وقد قال الله عز وجل: ﴿مَن يَهْـدِ الله فَهُوَ الْمُهْتَـدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدُ لَـهُ وَلِيّاً مُّـرْشِداً﴾ [الكهف: ١٧] وقـال تعالى: ﴿يُضِـلُّ بِهِ كَثِيـراً وَيَهْـدِي بِـهِ كَثِيـراً﴾ [البقرة: ٢٦] فـأخبر تعـالى أنه يضـل ويهدي، وقـال؛ ﴿وَيُضِـلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فأخبرنا أنـه ﴿فَعَّالٌ لِمَـا يُرِيْـدُ﴾ [البـروج: ١٦] وإذا كـان الكفـر ممـا أراده فقـد فعله وقـدره وأحـدثـه وأنشـأه واختـرعه، وقـد بيّن ذلك بقـوله: ﴿أَتَعْبُـدُونَ مَـا تَنْحِتُـونَ * وَالله خَلَقَكُمْ وَمَـا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥ ـ ٩٦] فلو كانت عبادتهم للأصنام من أعمـالهم كان ذلك مخلوقاً لله، وقد قال الله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُـوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤] يريد أنه تعالى يجازيهم على أعمالهم، كذلك إذا ذكر عبادتهم للأصنام

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٥٩).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٥٨).

وكفرهم بالرحمن، ولو كان مما قدروه وفعلوه لأنفسهم لكانوا قد فعلوا وقدروا ما خرج عن تقدير ربهم وفعله، وكيف يجوز أن يكون لهم من التقدير والفعل والقدرة ما ليس لربهم؟ فمن زعم ذلك فقد عَجَّز الله عز وجل، تعالى الله عن قول المعجِّزين له علواً كبيراً.

ألا ترى أن من زعم أن العباد يعلمون ما لا يعلمه الله عز وجل، لكان قد أعطاهم من العلم ما لم يدخل في علم الله وجعلهم لله نظ ، فكذلك من زعم أن العباد يفعلون وَيُقَدِّرُوْنَ مَا لَمْ يُقَدِّرْهُ وَيَقْدِرُونَ على ما لم يقدر عليه، فقد جعل لهم من السلطان والقدرة والتمكن ما لم يجعله للرحمن، تعالى الله عن قول أهل الزور والبهتان والإفك والطغيان علواً كبيراً.

٢٥٩ ـ مسألة

ويقال لهم: هل فَعْلُ الكافِرِ الكفر فاسداً باطلاً متناقضاً؟

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: وكيف يفعله فاسداً متناقضاً قبيحاً وهو يعتقده حسناً صحيحاً أفضل الأديان؟

وإذا لم يجز ذلك، لأن الفعل لا يكون فعلاً على حقيقته إلا ممن علمه على ما هو عليه من حقيقته، كما لا يجوز أن يكون فعلاً ممن لم يعلمه فعلاً، فقد وجب أن الله عز وجل هو الذي قدر الكفر وخلقه كفراً فاسداً باطلاً متناقضاً، خلافاً للحق والسداد.

* * *

الباب الثالث عشر
الكلام في الشفاعة والخروج من النار(*)

٢٦١ ـ مسألة

ويقال لهم: قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة. فلمن الشفاعة أهي للمذنبين المرتكبين الكبائر أم للمؤمنين المخلصين؟

فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين الكبائر وافقوا.

وإن قالوا: للمؤمنين المبشّرين بالجنة الموعودين بها.

قيل لهم: فإذا كانوا بالجنة موعودين وبها مبشّرين، والله عز وجل لا يخلف وعده فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته؟ وما معنى قولكم أنهم قد استحقوها على الله عز وجل واستوجبوها عليه سبحانه؟ وإذا كان الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة، كان تأخيرهم عن الجنة ظلماً، وإنما يشفع الشفعاء إلى الله عز وجل في أن لا يظلم على مذهبكم، تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيراً.

فإن قالوا: يشفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل في أن يزيدهم من فضله، لا في أن يدخلهم جناته.

(*) أنظر «شرح الطحاوية» ص ٢٢٣ ـ ٢٣٧ و٤١٣ ـ ٤١٨.

قيل لهم: أوليس قد وعدهم الله عز وجل ذلك؟ فقال تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ١٧٣] والله عز وجل لا يخلف وعده، فإنما يشفع إلى الله عز وجل عندكم في أن لا يخلف وعده، وهذا جهل منكم[١]، وإنما الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقاباً أن يوضع عنه عقابه، أو في من لم يعده شيئاً أن يتفضل به عليه، فأما إذا كان الوعد بالتفضل سابقاً فلا وجه لهذا.

٢٦٢ ـ مسألة

فإن سألوا عن قول الله عز وجل ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فالجواب عن ذلك: ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فهم يشفعون له.

وقد روي أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر[٢].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن المذنبين يخرجون من النار»[٣].

* * *

(١) في نسخة من قولكم.

(٢) ولفظه «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وهو حديث صحيح رواه أبو داود رقم (٤٧٣٩) في السنة: باب الشفاعة، وأحمد في «المسند» ٣/٢١٢ من حديث أنس رضي الله عنه، والترمذي رقم (٢٤٣٧) في صفة القيامة: باب رقم ١٢ وأحمد في «المسند» ٣/٢١٢ من حديث أنس رضي الله عنه انظر «صحيح الجامع» رقم (٣٦٠٨).

(٣) تقدم تخريجه ص (٢٣).

الباب الرابع عشر
الكلام في الحوض(*)

٢٦٢ ـ وأنكرت المعتزلة الحوض، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين بلا خلاف.

وروى عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عَن علي بن زيد، عن الحسن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ذُكِرَ الحوض عند عبيد الله بن زياد فأنكره، فبلغ أنساً، فقال: لا جرم والله لأفعلن به، قال؛ فأتاه، فقال: ما ذكرتم من الحوض ما أنكرتم من الحوض، قال عبيد الله: هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكره، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من كذا وكذا مرة يقول: «مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ ـ يعني الحوض ـ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ، أَوْ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَكَّةَ، وَإِنَّ آنِيَتَهُ أَكْثَرَ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ»(١)

وروى أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن جندب بن سفيان، قال: سمعت رسول الله صلى

(*) انظر «شرح الطحاوية» ص ٢٢٠ ـ ٢٢٣.

(١) البخاري رقم (٦٥٨٠) في الرقاق: باب ذكر الحوض، ومسلم رقم (٢٣٠٣) في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم، والترمذي (٢٤٤٤)، وأحمد ٣/٢٣٠.

الله عليه وسلم يقول: «أَنَا فَرْطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ»[1] في أخبار كثيرة.

* * *

(١) ورواه البخاري رقم (٦٥٨٩) في الرقاق: باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿**إنَّا أعطيناك الكوثر**﴾، ومسلم رقم (٢٢٨٩) في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم.

الباب الخامس عشر
الكلام في عذاب القبر(*)

٢٦٣ ـ وأنكرت المعتزلة عذاب القبر أعاذنا الله منه. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَعَوَّذُوا بالله مِنْ عَذَابِ القِبْرِ»(١).

وروى أحمد بن إسحاق الحضرمي، قال: حدثنا وهيب، قال حدثنا موسى بن عقبة، قال: حدثتني أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»(٢) أعاذنا الله منه.

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

(*) أنظر «شرح الطحاوية» ص ٤٥١ ـ ٤٦٣.

(١) مسلم رقم (٥٨٨) في المساجد ومواضع الصلاة: باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ولفظة: «عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال، عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات».

(٢) أحمد في «المسند» ٦/٣٦٤ و ٣٦٥، وهو حديث صحيح.

قال: «لَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَسَأَلْتُ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ مَا أَسْمَعَنِي»(١).

٢٦٢ ـ دليل آخر

ومما يبين عذاب الكافرين في القبور قول الله عز وجل: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدواً وعشياً، وقال: سنعذبهم مرتين، مرة بالسيف ومرة في قبورهم، ثم يردون إلى عذاب غليظ في الآخرة.

وأخبر الله عز وجل أن الشهداء في الدنيا يرزقون ويفرحون بفضل الله، قال عز وجل: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُم الله مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وهذا لا يكون إلا في الدنيا، لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا.

* * *

---

(١) مسلم رقم (٢٨٦٨) في الجنة وصفة نعيمها: باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، والنسائي ١٠٢/٤، وأحمد ١١٤/٣ و١٥٣ و١٧٥، وفي الباب عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عند مسلم رقم (٢٨٦٧).

الباب السادس عشر
الكلام في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه(*)

٢٦٥ ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْنَاً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئَاً﴾ [النور: ٥٥] وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ إن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

وأثنى الله عز وجل على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين في مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان، فقال عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية [الفتح: ١٨].

قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبايعوه وانقادوا له، وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك.

٢٦٦ ـ دليل آخر من القرآن على إمامة الصديق رضي الله عنه.

(*) انظر «شرح الطحاوية» ص ٢٥٢ ـ ٥٥٩.

وقد دل الله تعالى على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سورة ﴿براءة﴾ فقال للقاعدين عن نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم والمتخلفين عن الخروج معه: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ ابَدَاً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً﴾ [التوبة: ٨٣] وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إذَا انْطَلَقْتُمْ إلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُم يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ الله﴾ [الفتح: ١٥] يعني قوله: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدَاً﴾ [التوبة: ٨٣] ثم قال: ﴿كَذَلِكُم قَالَ الله مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لاَ يَفْقَهُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ [الفتح: ١٥] وقال: ﴿قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إلَىٰ قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ الله أَجْرَاً حَسَنَاً وَإن تَتَوَلَّوا﴾ يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُم عَذَابَاً أَلِيمَاً﴾ [الفتح: ١٦] والداعي لهم إلى غير ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال الله عز وجل له: ﴿فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدَاً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً﴾ [التوبة: ٨٣] وقال الله في سورة الفتح [١٥]: ﴿يُرِيدُون أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ الله﴾ فمنعهم عن الخروج مع نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل خروجهم معه تبديلاً لكلامه فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه صلى الله عليه وسلم وقد قال الناس هم أهل فارس وقالوا، أهل اليمامة فإن كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ودعا إلى قتالهم، وإن كانوا الروم، فقد قاتلهم الصديق أيضاً وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وقاتلهم عمر رضي الله عنه من بعده، وفرغ منهم، وإذا وجبت إمامة عمر رضي الله عنه، وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه، كما وجبت إمامة عمر رضي الله عنه، لأنه العاقد له الإمامة، فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضوان الله عليهما، وإذاً وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب أنه أفضل المسلمين رضي الله عنه.

٢٦٧ ـ دليل آخر للإجماع على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ومما يدل على إمامة الصديق رضي الله عنه أن المسلمين جميعاً بايعوه وانقادوا لإمامته، وقالوا له: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأينا علياً والعباس رضي الله عنهما بايعاه رضي الله عنه، وأقرا له بالإمامة.

وإذا كانت الرافضة يقولون: إن علياً رضي الله عنه هو المنصوص على إمامته، والراوندية تقول: العباس هو المنصوص على إمامته.

ولم يكن في الناس في الإمامة إلا ثلاثة أقوال:

من قال منهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة الصديق رضي الله عنه، وهو الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقول من قال نص على إمامة علي رضي الله عنه، وقول من قال الإمام بعده العباس رضي الله عنه[1].

وقول من قال هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو بإجماع المسلمين والشهادة له بذلك، ثم رأينا علياً والعباس رضي الله عنهما قد بايعاه وأجمعا على إمامته، فوجب أن يكون إماماً بعد النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع المسلمين

ولا يجوز لقائل أن يقول: كان باطن عليٍّ والعباس رضي الله عنه خلاف ظاهرهما، ولو جاز هذا لمدِّعيه لم يصح إجماع، ولجاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع للمسلمين، وهذا يسقط حجية الإجماع، لأن الله عز وجل لم يتعبَّدنا في الإجماع بباطن الناس، وإنما تعبَّدنا بظاهرهم، وإذا كان ذلك كذلك، فقد حصل الإجماع والاتفاق على إمامة أبي بكر الصديق.

٢٦٨ ـ وإذا ثبتت إمامة الصديق رضي الله عنه ثبتت إمامة الفاروق[2]

---

(١) في نسخة: نص على إمامة العباس.

(٢) انظر «شرح الطحاوية» ص ٥٦٠ ـ ٥٦١.

رضي الله عنه، لأن الصديق رضي الله عنه نص عليه وعقد له الإمامة، واختاره لها، وكان أفضلهم بعد أبي بكر رضي الله عنهما.

٢٧٠ ـ وثبتت إمامة عثمان[١] رضي الله عنه بعد عمر رضي الله عنه بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر رضي الله عنه، فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله.

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ٥٦١ ـ ٥٦٦.

قال الإمام الأكبر محمد الخضر حسين شيخ الأزهر تحت عنوان:
كيف نشأت الفتنة؟

قضى عثمان رضي الله عنه معظم أيام خلافته والناس مجمعون على حبه والاغتباط بإمارته، لشدة رأفته وواسع حلمه ولين جانبه، ولأن أيدي الناس امتلأت في عهده من المغانم، وصاروا يتمتعون بالعيش الطيّب أكثر مما كانوا يتمتعون.

كان بعد هذا أن دخل في الإسلام نفر غير مخلصين في إسلامهم، وإنما يريدون الكيد له، وتفريق كلمة أهله، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء. وهو من يهود حمير، نزل بالبصرة على حكيم بن جبلة العبدي، وابتدأ يبث في السر أن علياً أحقّ في الخلافة، ويدعو إلى نزع الخلافة من عثمان، فتعلق بدعوته نفر، وبلغ أمره عبد الله بن عامر البصرة، فطرده، وجاء الكوفة، فأخرج منها، ثم جاء الشام، فأخرج منها كذلك، فأتى مصر واتصل به نفر من أوشاب الناس، منهم كنانة بن بشر وخالد بن ملجم، وأخذ يردد عليهم أن علياً وصي النبي ﷺ، وأن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، وبعث من هؤلاء دعاة في البلاد التي كان قد طرد منها، واتفق أن كان لعثمان عمّال من ذوي قرابته، وهنك أناس قد يلاقون من هؤلاء العمال ما لا يوافق أهواءهم، فيطعنون فيهم، ويتخذون من قرابتهم لعثمان وسيلة إلى الطعن في عثمان، فوجد فريق يوافقون أصحاب تلك الدعاية السرية في الطعن في عثمان نفسه، وإن كان فريقان يختلفان في الباعث على هذا الطعن، فأصحاب تلك الدعاية السرية يريدون تفريق كلمة المسلمين أو إفساد دينهم، والفريق الثاني إنما يريد نقل الخلافة من عثمان إلى غيره، كراهة لبعض عماله أو رجاء أن يجد في خلافة غيره ولاية أو غنيمة.

وتكوّن من الفريقين جمع يتمضمضون بالطعن في عمال عثمان، ويتعدون بالطعن إلى عثمان نفسه، ينسبون إليه أشياءً زوراً، ويذكرون بعض أعماله على غير وجهها الصحيح، وكان عثمان يقابل زعماء هذه الدعاية باللين، ولا يزيد على أن يدفعهم بالحجة.

كان جماعة من أهل الكوفة قد أظهروا العداء لعثمان، فأبلغ سعيد بن العاص عثمان خبرهم، فكتب =

. . . .

= إليه بإرسالهم إلى معاوية، وكتب إلى معاوية: إن نفراً خلقوا للفتنة، فقم عليهم، وانههم، وإن أنست منهم رشداً، فاقبل، وإن أعيوك، فارددهم إليّ. فأنزلهم معاوية، وأجرى عليهم من الرزق ما كان لهم بالعراق، ولكن معاوية بعد محادثتهم، استصغر عقولهم، واحتقر شأنهم، وكتب إلى عثمان يقول له: إنه قدم عليّ أقوام ليس لهم عقول ولا أديان، أضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجّة، وإنما همهم الفتنة، وليسوا بالذين ينكون أحداً إلا مع غيرهم، فانه سعيداً عنهم، فإنهم ليسوا لأكثر من شغب ونكير.

ومما جعل عمال عثمان يوسعون صدورهم لهؤلاء الطاعنين، ولا يبادرون إلى عقوبتهم الزاجرة، أنهم كانوا يتظاهرون في طعنهم بحال من يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقيام دعوة منظمة، لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً، تختلق المعايب، وتلصقها بعثمان وعماله. وقد تأخذ بأذهان بعض الغافلين عن سريرة أولئك الدعاة، ويتخيلون أن الدعوة لإصلاح أمر الدولة، فيشارك هؤلاء الغافلون ذينك الفريقين في هذه الدعاية، أو يقفون في الأقل موقف الحيادة.

فلا غرابة أن تنقل كلمات في نقد سياسة عثمان عن أناس لا يريدون إفساد حال المسلمين، ولا يبتغون إدراك منفعة خاصة قد فاتتهم، وإنما يقولونها عن تأثر بتلك الدعاية المنظمة الدائبة.

وربما ذكر المؤرخون أشخاصاً معدودين من الصحابة مثل عمّار بن ياسر وعمرو بن العاص، ويقولون: أنهم كانوا يؤلبون على عثمان، ومتى صحّ أصل الرواية، فمن المحتمل أن يكون الذي صدر منهم لا يزيد على إيذاء آراء يخالفون بها رأي عثمان في بعض تصرفات الدولة أو تولية رجال يرونهم غير ذي كفاية لما تقلدوا من الأعمال، فجاء بعض ذوي الأهواء إلى هذا النقد الذي لا تخلو منه دولة وإن بلغت من الرشد والعدل غايتهما، وسمّاه تألباً.

وقد بلغ الحال بدعاة الفتنة أن يزوّروا رسائل صدرت من عائشة وعلي وطلحة والزبير في الدعوة إلى خلع عثمان، وبلغ أمر هذه الرسائل إلى هؤلاء الصحابة الأجلاء، وتبرأوا منها، وأنكروا أن تكون صدرت منهم. وبمثل هذه الرسائل المزوّرة كانوا يخضعون الغافلين الذين لا يتثبتون فيما ينقل إليهم من الأنباء.

والظاهر أن من أسباب سريان هذه الدعاية الخبيثة، كثرة من دخلوا في الإسلام ممن لم تستنر بصائرهم بهداية الدين الحنيف حق الإستنارة، ولم يقدروا أصحاب رسول الله ﷺ حق أقدارهم، ويضاف إلى هذا ما كان عليه عثمان من النبل والحلم والحياء. ثم ما كان يجري عليه عماله من عدم مقابلة الطاعنين فيهم أو من عثمان بالشدة الزاجرة، إما استخفافاً بأمرهم وإما احتمالاً لهذه المطاعن، ولا سيما مطاعن يتظاهر أصحابها بأنهم يتظلمون، أو يريدون إقامة معروف أو إزالة منكر.

ومن تتبع سيرة الخلفاء الراشدين أو من جاء بعدهم، من الخلفاء العاقلين، وجدهم لا يعاقبون الناس على نقد سياساتهم وإن ظهر النقد في أقوال جافية، وهذا معاوية يقول: والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، فإن لم يكن من أحدهم إلا كلمة يشتفي بها جعلت له ذلك دبر أذني. =

. . . .

= كيف دبر خلع عثمان أو قتله:

مما لا نرتاب فيه أن ليس للصحابة ولا لأفاضل التابعين سعي في خلع عثمان، ولا دخل في قتله، وأن المؤتمرون على ذلك هم دعاة الفتنة، واستعانوا بمن تلون بدعايتهم، ونعوّل في هذا على أقوال المحدثين والمحققين من المؤرخين، قال الحافظ أبو بكر العربي في كتاب «القواصم والعواصم»: وقد سمّوا من قام على عثمان، فوجدناهم أهل إغراض سوء، حيل بينهم وبينها، وقال: إن أحداً من الصحابة لم يشنع عليه، وقد انتدب المردة الجهلة أن يقولوا إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغباً مؤلباً، وبما جرى عليه راضياً، واخترعوا كتباً فيها فصاحة وأمثال، وادعوا أن عثمان كتب بها إلى علي، وذلك كله مصنوع، ليوغروا قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين.

اجتمع بعض رؤوس الفتنة بالكوفة، وأخذوا يزيدون نارها حطباً، فكتب سعيد بن العاص يشكوهم إلى عثمان، فأمره بإرسالهم إلى عبد الرحمن بن خالد عامل حمص، فوبّخهم ابن خالد وتوعدهم فهابوا سطوته، وأظهروا التوبة، وأرسل بهم إلى عثمان متظاهرين بالتوبة، فخيرهم عثمان بالبلاد التي يريدون استيطانها، فاختاروا التفرق، وذهب كل إلى البلد الذي اختاره، ولما سار كل إلى ما اختار، عادوا إلى إيقاد الفتنة وتأليب الجماعة، وتكاتبوا من أمصارهم في القدوم على المدينة، حتى جمعوا أمرهم وعزموا على خلع عثمان أو قتله، وتوجهوا نحو المدينة، متظاهرين بقصد الحج، وكان على أهل البصرة حكيم بن جبلة، وعلى أهل الكوفة الأشتر النخعي، وعلى أهل مصر عبد الرحمن بن عديس البلوي، فدخلوا المدينة في نحو أربعة آلاف شخص، فأطلع عليهم عثمان من حائط داره، ووعظهم وذكرهم، فاستشاطوا ولم تنجع فيهم الموعظة، وأراد الصحابة أن يدفعوهم عنه، فأوعز إليهم عثمان أن لا يقاتل أحد بسببه أبداً، وثبت أن عبد الله الزبير قال لعثمان: إن معك في الدار عصابة مستبصرة، ينصر الله بأقل منها، فأذنْ لنا، فقال اذكر الله رجلاً أراق لي دماً. وقال سليط بن سليط نهانا عثمان عن قتالهم ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارنا. وجاءه زيد بن ثابت فقال له: إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: لا حاجة لي في ذلك، كفوا. وروي أن عبد الله بن عامر، قال: كنت مع عثمان في الدار فقال لي: اعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه، ويحدثنا القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه «العارضة»، فيقول: ولقد قتل عثمان، وطالبوه أربعة آلاف، وفي المدينة أربعون ألفاً كلهم لا يريد قتله، ويريد نصره، لكنه دفع الكل، واستسلم للأمر بالعهد الذي كان عنده، ولم يرض أن يراق بسببه دم، ورضي أن يكون عند الله المظلوم ولا يكون عند الله الظالم.

ولما ضرب أولئك البغاة على عثمان الحصار، كان معه وعلى بابه جماعة من الصحابة وأبناء الصحابة يحرسونه، منهم زيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن عمر والحسن والحسين وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة وعبد الله بن عامر، وربما وقعت بينهم وبين الثائرين مدافعة، حتى أصيب الحسن وغيره بجراح. =

. . . .

= ثم إن هؤلاء الثائرين اقتحموا دار عثمان يريدون قتله.

ويذكر المؤرخون في أسماء من باشروا قتله محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن أبي بكر لم يكن من الصحابة، لأنه ولد سنة حجة الوداع، وهي السنة التي انتقل عقبها النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فكان أيام فتنة عثمان لم يزل في أوائل عهد الشباب على أن بعض الروايات تقول: إن محمد بن أبي بكر بعد أن دخل على عثمان كلّمه ووعظه فرجع، ثم دخل سفهاء القوم، فسفكوا دمه الطاهر وكتاب الله بين يديه، وصعدت روحه الطاهرة إلى مقام كريم.

رد ما ينسب إلى عثمان من الأحداث:

يذكر المؤرخون أشياء كان الناقمون على عثمان قد اتخذوها أسباباً لثورتهم عليه، ومن هذه الأشياء ما هو مفترى على عثمان قطعاً، ومنها ما لو صحّ لم يكن موضع إنكار، وإنما هو من قبيل ما يرجع إلى اجتهاد الإمام، ويقع مثله من الخلفاء الراشدين، ومنها ما يعد من حسناته وصالح أعماله.

وها نحن هؤلاء نعرض على حضراتكم ما قصه المؤرخون وبعض المحدثين من الأمور التي طعن بها الطاعنون في عثمان، وجعلوها أسباب قيامهم عليه:

قالوا؛ ولى عمالاً من ذوي قرابته، وزعموا أنهم ليسوا أهلاً للولاية، وذكروا معاوية بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، ومروان بن الحكم.

ويدفع هذا بأن تعيين الولاة يرجع إلى اجتهاد الإمام، وتقوى عثمان وإخلاصه في سياسة الرعية، يجعلنا على ثقة من أنه ولّى بعض ذوي قرابته بعد أن عرف كفايتهم للأعمال، والمعيب أن يولي قريباً لا يكون كافياً للعمل، أو يؤثره في الولاية وهو على علم بأن غيره أكفيء منه، ثم إن معاوية ولّاه الشام عمر بن الخطاب، ولم يزد عثمان على أن أقرّه على الولاية، وكذلك الوليد بن عقبة كان عاملاً لعمر بن الخطاب على الجزيرة، وكان من عثمان أن ولاه الكوفة، فقدمها وسار في الناس خمس سنين سيرة حسنة، حتى اتهمه جماعة بشرب الخمر، فاستقدمه عثمان وأقام عليه الحد، وولّى مكانه سعيد بن العاص، وسعيد بن العاص نشأ يتيماً في حجر عثمان، ثم انتقل إلى الشام، وأقام بها عند معاوية، فذكره عمر بن الخطاب يوماً، واستقدمه إلى المدينة وأكرمه، وكان شريف النفس سخي اليد فصيح اللسان، لا يختلف اثنان في كفايته للعمل.

وأما عبد الله بن عامر بن كريز، فكان ابن خال عثمان، وأمه أمها أم حكيم ابنة عبد المطلب، عمة النبي ﷺ، وعبد الله بن عامر هذا نشأ في الإسلام نشأة طيبة، وكان معدوداً من نجباء قريش وكرمائهم، ولّاه عثمان عاملاً بالبصرة عند اختلاف أهلها على أبي موسى الأشعري، وكان سن عبد الله بن عامر يومئذ خمساً وعشرين سنة فقاد الجيوش، وفتح خراسان وسجستان وكرمان، وما زال يطارد كسرى يزدجرد حتى قتل كسرى، وانقرضت على يده الدولة الساسانية وكان لكرمه وحسن خلقه يحبه الناس. =

. . . .

= وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فكان عثمان استعمله على الحرب في مصر، وأبقى عمرو بن العاص على الخراج، ثم وقع خلاف بينهما، فاستقدم عثمان عمرو بن العاص، وصارت إمارتا الخراج والحرب إلى عبد الله بن سعد.

وذكر ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» سبباً آخر لعزل عمرو بن العاص، هو أن الاسكندرية انتقضت سنة ٢٥ هـ فافتتحها عمرو بن العاص، وعاملهم معاملة الناقضين للعهد، ولم يصح عند عثمان نقضهم، فعزله وولى عبد الله بن سرح، فاعتزل عمرو إلى ناحية بفلسطين، وكان يزور المدينة أحياناً.

ويدلكم على أن ولاية عبد الله بن سعد لم تقع موقع الإنكار من الصحابة، أن عثمان أمره بفتح أفريقية، فسار إليها في جيش مؤلف من كثير من الصحابة وأبناء الصحابة: منهم عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، والحسن والحسين، وعبد الله بن عمرو بن العاص.

وقالوا: عبد الله بن سعد هذا كان قد أسلم ثم ارتد وعاد إلى مكة، فنقول: عاد إلى الإسلام، وظهر إخلاصه، والتوبة تجبّ ما قبلها، قال أبو بكر بن العربي في كتاب العارضة: ولّى عثمان عبد الله بن أبي سرح لحسن سيرته وحميد طريقته، ولهذا فتح الفتوح في بحر المغرب وبره، وغزا معه جماعة من الصحابة وأبناء الصحابة، وأطاعوه ورضوا عنه.

وأما مروان بن الحكم: فكان له عندما توفي رسول الله ﷺ ثمان سنين ـ وتولى الكتابة لعثمان، وروى الحديث عن عثمان وعلي، والواقع أن مروان قد كثر الطعن فيه، ونرى بعض المحدثين يصفه بما يخفف هذا الطعن، فأبو بكر بن العربي يقول: «فمروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين».

وقالوا: رد الحكم إلى المدينة وقد نفاه النبي ﷺ منها إلى الطائف.

ويدفع هذا بأن النبي ﷺ قد أذن قبل وفاته لعثمان في رده، ولما أبلغ عثمان هذا الأذن أبا بكر وعمر، قالا له: إن كان معك شهيد رددناه، ولما ولي عثمان الخلافة عمل على مقتضى علمه بأن رسول الله ﷺ قد أذن في رده، وللحاكم أن يعمل على ما يعلم في غير القضاء بين الخصوم.

وقالوا: كان عمر يضرب بالدرة وهو يضرب بالسوط، وضرب عمار بن ياسر وابن مسعود ومنعه عطاءه، وضرب أبا ذر ونفاه إلى الربذة.

وسلك بعض أهل العلم في دفع هذا الإنكار طريقة أن للحاكم أن يؤدب بعض الرعايا بما يراه صلاحاً، ولكن حفاظ الحديث أنكروا هذا الذي يحكيه المؤرخون أشد الإنكار، قال أبو بكر بن العربي في كتاب العواصم: أما ضربه لعمار وابن مسعود ومنعه لعطاء ابن مسعود فزور وإفك، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن يشتغل بها، لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا يذهب الزمان في مماشاة الجهال، فإن ذلك لا آخر له. =

. . . .

وأمـا قصة أبي ذر فهـو أن أبا ذر كـان زاهداً، وكـان يعظ عمال عثمـان في الزهـد، ويتلو عليهم قولـه تعالى: ﴿والذين يكنـزون الذهب والفضـة ولا ينفقونهـا في سبيل الله فبشـرهم بعذاب أليم﴾ وربمـا أغلظ لهم القول، فشكاه معاوية إلى عثمان فاستدعاه إلى المدينة فاجتمع عليـه الناس، فكـره ذلك، فقال له عثمان: لو اعتزلت فخرج إلى الربذة زاهداً فاضلاً، ونزل وراءه أجله فضلاء.

وقالوا: صعد منبر رسول الله ﷺ وعلا على الـدرجة التي كـان يقف عليها رسـول الله ﷺ، وقد انحط عنها أبو بكر وعمر.

ويدفع هذا بأن هذه الرواية غير صحيحة، قال أبو بكر بن العـربي في العواصم: مـا سمعت هذا ممن فيه تقية، وإنما هي إشاعة منكر، ليروي ويذكر، ليتغير بها قلب من يتغير.

وقالوا: لما طعن عمر رضي الله عنه، قتل عبيدالله بن عمر الهـرمزان بتهمـة أن له يـداً في قتل عمـر، فلم يقم عثمان على عبيدالله بن عمر حد القصاص.

ويدفع بـأن هذه الـواقعة جـرت بمرأى من الصحـابة وهم متـوافرون فكيف تقـع في أول عهد عثمـان ويسكتون عنها؟ وإذا أردنا أن نرجع إلى قول المؤرخين فقـد قالـوا: إن الهرمـزان سعى في قتل عمـر وحمل الخنجر، وظهرت تحت ثيابه، وقالوا: أعطى الخنجر لأبي لؤلؤة وحرضه على عمر حتى قتله. وكان قتل عبد الله له قبل أن يتولى عثمان، ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقاً، لما ثبت عنده من حـال الهرمـزان وفعله. ويروى أن عمـرو بن العـاص لمـا اختلف الصحـابـة في الاقتصـاص من عبيد الله بن عمر قـال لعثمان: إنمـا كان هـذا الحدث ولا سلطان لـك، قال عثمـان: أنا وليّهم وقـد جعلتها دية، واحتملتها في مالي، وانتهى الخلاف.

وقالوا: ابتدع في جمع المصحف وحرق المصاحف.

ويـدفع هـذا الطعن بـأن الله تعالى وعـد بحفظ القرآن فقـال تعالى: ﴿إنـا نحن نزلنـا الذكـر وإنا لـه لحـافظون﴾ فكـان هذا الحفظ على يـد عثمان، فـإن عثمان كمـا يقـول ابن حـزم جمـع القـرآن في مصحف تحفظ به القراءات المسموعة من النبي ﷺ، وإنما أحرق المصاحف التي تشتمل على شيء يتوهمه واهم، أو يدسه زنديق.

وقالوا: خالف سنة القصر في الصلاة فصلى بالناس في منى أربـع ركعات، وكـان النبي ﷺ وأبو بكـر وعمر يصلونها ركعتين.

وجواب هذا أن تلك السنة كثر فيها الأعراب، فخشي أن يسبق إلى أذهـانهم أن الصلاة أربـع، فقصد إلى تعليمهم أنها أربع. وروى البيهقي أن عثمان نفسه خـطب في منى فقال: إن القصـر سنة رسـول الله ﷺ وصـاحبيه ولكنـه حدث طَعَـام فخفت أن يستنوا. ولعـل الذي نبهـه إلى هذا مـا روي من أن أعرابياً ناداه في منى: يا أمير المؤمنين ما زلت أصليها منذ رأيتك عام أول ركعتين.

قال ابن العربي في العواصم: وأما تـرك عثمان للقصـر، فاجتهـاد، إذ سمع أن النـاس افتتنوا بـالقصر وفعلوه في منازلهم، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفرض، فتركها خوف الذريعة.

. . . .

ومما أنكره الثائرون على عثمان حمايته لأرض كانت للناس عامة، فخصها بإبل الصدقة، واجهوه بهذا الانكار فقرأوا عليه الآية: ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾ وقالوا له: أرأيت ما حميت من الحمى، آلله أذن لك، أم على الله تفتري؟ فقال: هذه الآية نزلت في كذا وكذا، وأما الحمى فقد حمى الأئمة قبلي لإبل مصدقة، فلما زادت إبل الصدقة زدت في الحمى.

وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ حمى النقيع، وأن عمر بن الخطاب حمى السرف والربذة.

وزعموا أنهم لاقوا راكباً خارج المدينة يحمل كتاباً من عثمان إلى عامله بمصر عبد الله بن سعد يأمره فيه بقتل محمد بن أبي بكر ومن معه رؤوس هذه الفتنة بعد أن وعظهم وأظهروا التوبة.

ويدفع هذا بأنهم ادعوا هذا وأنكر عثمان أن يكون قد كتب هذا الكتاب، وقال هم: إما أن تقيموا شاهدين على ذلك، وإلا فيميني أني ما كتبت ولا أمرت، وقد يكتب على لسان الرجل، ويضرب على خطه، وينقش على خاتمه، فقالوا تسلم إلينا مروان، فقال: لا أفعل، ولو سلمه لكان ظالماً، وإنما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان[1].

وساق الإمام البخاري في جامعه قصة تحتوي شيئاً مما يتلمسه الذين ينتقصون عثمان رضي الله عنه، قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قوماً جلوساً، فقال من هؤلاء القوم؟ قال: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر إني أسألك عن شيء فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد؟ قال نعم، فقال: أتعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدها؟ قال: نعم، قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أبيّن لك: أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده اليسرى فقال: هذه لعثمان.

وملخص هذه المحاضرة أن عثمان رضي الله عنه لم يأت حدثاً منكراً، ولم يرتكب ظلماً ولا إثماً، وأن الصحابة جميعاً، بريئون من دمه، وإنما حاول خلعه، أو خان الله في سفك دمه، نفر ليسوا من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا من القوم الذين يريدون الإصلاح.

ولعل محاضرتنا هذه تنبه شبابنا النابتين نباتاً حسناً على أن يتثبتوا فيما يقصه المؤرخون عن أصحاب رسول الله ﷺ، ولا سيما الذين صاحبوه أعواماً، ووردت الأخبار الصحيحة أنه توفي وهو عنه راض[2].

---

(١) العواصم لابن العربي.

(٢) مجلة الهداية الاسلامية، الجزأين السادس والسابع من المجلد الثاني عشر.

٢٧٠ ـ وثبتت إمامة علي رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد، ولأنه لم يدع[١] أحد من أهل الشورى غيره في وقته، وقد أُجْمِعَ على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقاً لعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم.

هؤلاء الأئمة الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم، أجمعين[٢].

وقد روى شريح بن النعمان، قال: حدثنا حشرج بن نباتة، عن سعيد بن جمهان، قال: حدثني سَفِينَةُ، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخِلَافَةُ فِي أمتِي ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مَلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ» ثُمَّ قَالَ لي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ وَخِلَافَةَ عُمَر وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: أَمْسِكْ خِلَافَةَ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: فَوَجَدْتُهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً)[٣]. فدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين.

٢٧١ ـ فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين: فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعلي الإمام، وكلهم من أهل الاجتهاد. وقد

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ٥٦٧ ـ ٥٦٩.

(٢) في نسخة: يدعها.

(٣) انظر «شرح الطحاوية» ص ٥٧٠ ـ ٥٧١.

(٤) أبو داود رقم (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧) في السنة: باب في الخلفاء، بالترمذي رقم (٢٢٢٧) في الفتن: باب ما جاء في الخلافة وأحمد في «المسند» ٥/٢٢. وصححه ابن حبان رقم (١٥٣٤) و(١٥٣٥)، والحاكم ٣/٧١ و٧١٤٥ ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

قال الترمذي: وفي الباب عن عمر وعلي قالا: لم يعهد النبي صلى الله عليه وسلم في الخلافة شيئاً. انظر «جامع الأصول» رقم (٢٠٢١).

شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة والشهادة، فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم[1]

٢٧١ ـ وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان على تأويل واجتهاد.

٢٧١ ـ وكل الصحابة أئمة مأمونون غير مُتَّهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبَّدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري من كل من ينقص أحداً منهم، رضي الله عن جميعهم.

قد قلنا في الإقرار قولاً وخبراً والحمد لله أولاً وآخراً.

* * *

تم كتاب
«الإبانة عن أصول الديانة»
بعون الله الملك الوهاب وحسن
توفيقه. والصلاة والسلام على
رسوله محمد وآله وأصحابه
أجمعين

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» ص ٥٤٥ ـ ٥٥٢.

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

- ب -

فهرس الفرق

فهرس

